

أنوار من القلب

مقالات في بناء الإنسان والكون



الكاتب والباحث

نوري جاسم

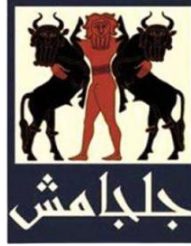


أنوار من القلب

مقالات في بناء الإنسان والكون

عنوان الكتاب : أنوار من القلب
المؤلف : الكاتب والباحث نوري جاسم
التصنيف : مقالات في بناء الإنسان والكون
الطبعة : الأولى
سنة الطبع : 2025
قياس الكتاب : 17 × 24 سم
التنسيق الداخلي و تصميم الغلاف : فلاح العيساوي
مراجعة لغوية: حيدر عبد الرحمن الربيعي

دار ومنشورات جلامش
ناشرون وموزعون
العراق - بغداد - شارع المتنبى
جديد حسن باشا
+964 770 633 6353
saidgilgamesh@gmail.com



ISBN: 978-9922-8176-2-0

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد (5492) لسنة 2025م

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو تخزين مادته بطريقة الاسترجاع ، أو نقله على أي نحو أو بأي طريقة كانت (ألكترونية) أو (ميكانيكية) أو بالتصوير أو بالتسجيل أو بخلاف ذلك إلا بموافقة كتابية من المؤلف أو الناشر .

All rights reserved. Not part of this publication may be reproduced stored in a retrieval system, or transmitted in any former by any means, Electronical, Mechanical and Photocopying, recording of otherwise . Without prior permission in writing of the Publisher or Author .

كل ما ورد في الكتاب يعبر عن رأي الكاتب ولا يعبر بالضرورة عن رأي الناشر

الكاتب والباحث
نوري جاسم

أنوار من القلب

مقالات في بناء الإنسان والكون

٢٠٢٥

٢١٩ / ١

ج ٢٥٨

جاسم ، نوري

أنوار من القلب: مقالات في بناء الإنسان /

نوري جاسم

ط ١ :- بغداد : جلامش ، ٢٠٢٥ .

١٧١ ص ، ١٧.٥ × ٢٥ سم .

١- الصوفية ٢- الإنسان - أ- العنوان .

رقم الإيداع

٢٠٢٥ / ٥٤٩٢

المكتبة الوطنية / الفهرسة أثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (5492) لسنة 2025م

الإهداء

رسالةً من القلب...

إلى الإنسان...

أينما كان، ومتى ما كان...

إليك، أيها المُضيءُ في جوهركَ، وإن أثقلتك ظلال الحياة..

إليك، أيها السائرُ بين جراح الأرضِ وأحلام السماءِ، الباحثُ عن

نورٍ، عن معنى، عن سلامٍ يسكنه، وعدالةٍ تُنصفه، وقيمةٍ ترفعه.

إليكم، أيها الشبابُ الذي يخبئُ بين كفيه بذورُ الأمل...

وإليك، أيتها الأمُّ التي تنسجُ من الحنانِ حضارةً، وتغرسُ في

القلوبِ لغةَ المحبةِ الخالدة...

وإليك، أيها الرجلُ والشيخُ النبيلُ، يا من تمشي بحكمةِ السنينِ

على جسورِ النورِ، وتفتحُ للأرواحِ أبوابَ الرشدِ والبصيرة.

إلى كلِّ قلبٍ لم تنطفئِ فيه جذوةُ الرحمة...

وإلى كلِّ نفسٍ تُصغي لنداءِ الخيرِ رغمَ ضجيجِ العالم...

إلى الذين لا يزالون يؤمنون بأنّ الإنسان أغلى من كل اختلاف،
وأنّ الأرواح مهما تباعدت أجسادها، تتلاقى في دروب النور.
أهديكم هذه الكلمات، لا لأُعَلِّمَ، بل لأُتشاركَ معكم بعض ما
نضجَ في القلب...
كلمات كتبت بماء التأمل، ونُسجت بخيوط المحبة،
علّها تُضيء لكم مسارًا، أو تُربّت على جرح،
أو تهمس لكم: ط لستم وحدكم في هذا الطريق.
إليكم جميعًا، من القلب...

نوري جاسم

المقدمة

أنوار من القلب... كلمات تهب الحياة روحاً، وتمنح العقل إشراقاً، وتساهم في بناء الإنسان والكون بالحكمة والمحبة.

في عصر تتسارع فيه التغيرات والأحداث كوميض برقٍ يخترق ليل العالم، تتكاثر الأسئلة في أعماق الإنسان الباحث عن يقين، ويعلو نداء الروح وسط ضجيج المادة، معلناً حاجتنا العميقة إلى تأمل يعيدنا إلى جوهر وجودنا، وإلى صوت هاديٍ يعيد ترتيب الفوضى من حولنا بلغة القلوب قبل العقول.

جاء هذا الكتاب بعون الله ليكون بستاناً من المعاني، بعشرة أبوابٍ تفتح فيه ستون زهرة من المقالات، كأنها أنفاس الروح على ورق الحياة، كلٌ منها يحمل عبق تجربة، أو نداء فكرة، أو قبساً من نور التصوف والعرفان الكسرناني، أو بوخاً تأملياً عابراً للحدود، يرسم ملامح الإنسان حين يكون جسداً يسكنه النور، ووطناً تمشي فيه الأخلاق، وكوناً يحتضن القيم. وهذا العمل ليس كتاباً فقط، بل دعوة صادقة إلى رحلة داخل الذات، وتأمل في واقع يتغير، وفهم أعمق للعلاقة بين الروح والعقل، بين المحبة والمعرفة، بين الإرادة والكرامة، بين الإنسان والإنسان، بين الإنسان وربّه. فكل مقال هنا هو شرفة تطل منها على زوايا الحياة المختلفة الروحية الصوفية الكسرنانية، الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية، الثقافية، الفكرية، وحتى الرقمية. حيث يتجاوز الذكاء الاصطناعي مع الذكاء الإنساني، ويتربط السلوك مع القيم، وتتماوج الحداثة مع التراث.

هذا الكتابُ مقسمٌ إلى عشرة أبوابٍ، ليست أبواباً تقليديةً بل فضاءاتٌ مفتوحةٌ للحوارِ مع الذاتِ والمجتمع، مع الحاضرِ والمستقبل، مع التساؤلاتِ العميقة التي تنبع من القلبِ وتذهبُ إليه. كل بابٍ منها يحملُ طابعاً خاصاً، لكنه يصبُّ في نهرٍ واحدٍ: بناء الإنسان في أبعاده كلّها، وتحقيق التوازن بين الروح والمادة، بين العلم والإيمان، بين الحرف والنور. وفي زمنٍ ساد فيه خطابُ التناحرِ والتكفيرِ والانقسام، أردتُ أن يكونَ هذا الكتابُ رافداً للحب، وممرّاً نحو السلام، ومنازةً للأمل، ورسالةً تتسامى فوق الحدودِ والانتماءاتِ الضيقة، لتخاطبَ الإنسانَ بما هو إنسانٌ، قلباً نقياً وروحاً تشتاقُ للنور. وأحببتُ أن أكتبَ بصوتٍ هادئٍ لا يصرخُ، بل يهمسُ في قلبِ القارئِ كما يهمسُ النور في الزهور، وكما تُخاطبُ الحكمةُ الأرواحَ التي أرهقها الضجيجُ، وكتبتُ لأزرعَ، لا لأدينَ، لأضيءَ، لا لأحرقَ. لأبني، لا لأهدمَ. فما أقدمه ليس سوى كلماتٍ من القلبِ إلى القلبِ، عسى أن تصادفَ قلوباً لا تزالُ تؤمنُ بأنّ الكتابةَ يمكن أن تغيرَ، وأنّ الكلمةَ الطيبةَ شجرةٌ أصلها ثابتٌ وفرعها في السماء.

للقارئ العزيز:

أعبر هذا الكتابُ كما تعبرُ بستاناً هادئاً، خذ منه ما يلامسُ عقلك وروحك، واترك ما لا يتناغمُ معك، اقرأه على مهلٍ، وتأمله كأنك تُصغي لصوتِ قلبك حين يتحدثُ إليك، أو كأنك تمشي في مدينةٍ فاضلةٍ تبنيها الكلمةُ لا الطوبى، وتشيدها المحبةُ لا الأنانية.

أسأل الله تعالى أن يجعلَ من هذا الكتابِ صدقةً جاريةً في ميزانِ النور، وأن يكونَ لبنةً في بناءِ فكرِ إنسانيٍّ أكثرَ رحمةً، وروحاً أكثرَ إشراقاً، ومجتمعٍ أكثرَ عدلاً، وسيراً نحو "الإنسان الكامل" الذي تشتاقُ له الأرضُ والسماءُ. والله وليّ النور والهداية....

بقلم: الكاتب والباحث نوري جاسم

الباب الأول: "الروح طريق النور"

(من سار مع الروح في درب الصفاء، اهتدى إلى النور، وانفتح له باب الحقيقة)

الباب الأول: المقال الأول: (الروح جوهر الإنسان ومصدر النور الإلهي)

"وفي أنفسكم أفلا تبصرون" [الذاريات: ٢١]

في داخل كل إنسان سرٌّ عظيم لا يدرك بالعين، ولا يُقاس بالحواس، إنه الروح، تلك الجوهرة الإلهية التي أودعها الله فينا، فجعل بها الإنسان إنساناً، وجعل منها النور الذي يهتدي به القلب في ظلمات الحياة، وليست الروح مجرد فكرة دينية أو مصطلح فلسفي، بل هي جوهر الوجود الإنساني، وصلة العبد بربه، ومصدر إشراقه الداخلي، وحين سئل النبي سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن الروح، جاء الجواب قرآنيًا واضحًا: "قل الروح من أمر ربي" - [الإسراء: ٨٥]، فهي من أمر الغيب، من عالم لا تدركه الحواس، ولكن تدركه القلوب إذا صفت، والأنفس إذا خضعت، والعقول إذا انفتحت على النور، إنها ليست من تراب ولا من نار، بل من أمر إلهي فوق حدود التصور. وفي التصوف ولا سيما في الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، تُعتبر الروح ميدان السلوك، وهي المحور الذي تدور حوله تربية المريد وسفر السالك، ولا يُنظر إليها كغيب مجرد، بل كتجربة حيّة، تتجلى في الخلوة، وتصفو في الذكر، وتشرق في حضرة المرشد والمربي. فالشيخ المرشد ليس ناقل علم فحسب، بل هو موقظ للروح، ينفث فيها من نوره، ويوقظ بها

الاستعداد لتلقي الفيض الرباني. وقد قال السيد الشيخ عبد الكريم الكسنزان قدس الله سره: "السلوك بلا شيخ كشجرة بلا ماء، لا تثمر ولا تورق". والنور الذي يبحث عنه العارفون ليس ضوءً فيزيائياً، بل إشراق في القلب، تجل في النفس، وطمأنينة في القلوب. قال رسول الله سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم "اتقوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ" - [رواه الترمذي]. وهذا النور هو ثمرة الإخلاص، وصفاء السريرة، ودوام الذكر، وصحبة أولياء الله الصالحين، فكل روح خالصة، متصلة، تصبح مرآة تعكس نور الحق، وتنطق بالحكمة دون أن تتكلف.

وفي زمن تكالب فيه الماديات، وتغفل فيه الأرواح، بدأ العلم نفسه يعترف بأن هناك ما هو أبعد من المادة. ففي كتاب The Immortal Mind لعالم النفس إرفين لازلو، يطرح بوضوح أن الوعي الإنساني ليس مجرد ناتج عن الدماغ، بل هو كيان مستقل، قد يستمر بعد الموت. وهذا يتقاطع مع الرؤية الصوفية بأن الروح لا تفنى، بل تنتقل، وتبقى، وتعود إلى خالقها، ولكن هذه الروح، رغم عظمتها، لا تثمر إلا إذا نُقِيت. فهي تتعكر بالحسد، وتضعف بالكبر، وتطفأ بالغفلة، ولا تُروى إلا بالتواضع، والمراقبة، والمجاهدة. وقد قال الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين: "لو كُشِفَتْ لَكَ الْحُجُبُ لَرَأَيْتَ أَنَّ أَصْلَ كُلِّ مَعْصِيَةٍ هُوَ مَرَضٌ فِي الْقَلْبِ، وَكُلُّ طَاعَةٍ نَابِعَةٌ مِنْ صِفَائِهِ". وهكذا، فإن من أراد السير إلى الله، لا يحتاج سفينة، ولا جواز سفر، بل يحتاج قلباً حياً، وروحاً متصلة، وشيخاً صادقاً، يرشده إلى النبع، ويقوده إلى الحق. فالكرامة الحقيقية ليست أن تمشي على الماء أو تطير في الهواء، بل أن تمشي بروحك إلى الله، في زمن ضاعت فيه الأرواح في زحام الأجساد.

والروح ليست شيئاً بعيداً، إنها أقرب إلينا من حبل الوريد، لكنها لا تُعطى لمن لم يطلب، ولا تُرى لمن لم يُبصر، ولا تُسمع لمن أغلق أذنه عن الذكر. ومن عرف روحه، عرف طريقه، ومن عرف طريقه، عرف ربه، ومن

عرفَ ربُّهُ، سكنَ قلبُهُ، وسكنت عليه السكينةُ، وأشرقَ عليه النور، وصلى الله
على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه
وسلم تسليماً..

الباب الأول: المقال الثاني: (الحقيقة المحمدية، النور الأول ومفتاح الوجود)

"لقد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبين" [المائدة: ١٥].

هو النور الذي سبق الوجود، وأشرق قبل الشمس، وفتح باب الرحمة في هذا العالم! إنه النور المحمدي، الحقيقة التي بها وجد كل شيء، والتي ما زالت إلى اليوم تسري في الأرواح الطاهرة، وتغمر القلوب الصافية، وتوقظ النفوس الباحثة عن طريق العودة إلى الأصل.

وفي التصوف والعرفان الإسلامي، الحقيقة المحمدية هي شخص النبي سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، بل هي الروح الكلية الأولى، النور الأزلي الذي ابتدأ به الخلق، كما ورد في الحديث القدسي المعروف عند العارفين "لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك" - [ورد عن جابر بن عبد الله، ورواه ابن عساكر في "تاريخ دمشق"] وهذا القول اتفق كثير من المحدثين على توثيقه، واتخذوه العارفون دليلاً على أن المحبة كانت سبب الخلق، وأن نور النبي سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم هو العلة الأولى التي بها تحرّك الوجود.

ويرى أهل التصوف، وعلى رأسهم الإمام عبد الكريم الجيلي في كتابه (الإنسان الكامل) أن الحقيقة المحمدية هي المظهر الأتم لأسماء الله وصفاته، وهي المرأة التي تجلّى فيها الله لعباده، في صورة بشرٍ يمشي في الأسواق، لكن قلبه معلقٌ بالسماء، وروحه لا تنفصل عن الحضرة. وفي الطريقة الكسنزانية، يُنظر إلى الحقيقة المحمدية على أنها الطريق والغاية، فهي النور الذي يسلك به المريد إلى الله، وهي الرحمة التي تُطهر، والسُر الذي يُلهم.

فكل خطوة روحية بلا حب لسيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، هي خطوة فارغة، وكل ذكر لا يحمل اسم الحبيب، هو ذكر جاف لا يثمر. وإن النور المحمدي لا يُختزل في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، أو في مدائح تُتلى فحسب، وإن كانت هذه من آثاره وبركته، بل هو سلوك دائم، واتصالٌ روحي، وشهودٌ داخلي، إنه الحقيقة التي تنقل الإنسان من عبودية الشكل، إلى حرية الروح، ومن ظاهر الدين إلى باطن الحب. وقال الشيخ الأكبر ابن عربي في الفتوحات المكية "محمد هو أول الخلق ظهوراً، وآخرهم جسماً، وأوسطهم سلوكاً، وأعلاهم مقاماً." فهو البداية والنهاية، وهو القطب الذي تدور حوله معاني الوجود. ومن لم يعرف سيدنا محمدًا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في روحه، لن يعرف الله في قلبه.

والحقيقة المحمدية ليست مسألة نظرية تُدرّس في الكتب، بل ذوق لا يُنال إلا بالتطهير، والخضوع، والصدق، والانكسار. من ذاقها تغيرت رؤيته للكون، فصار يرى النور في كل شيء، والرحمة في كل لحظة، والجمال في كل وجه. قال الإمام البوصيري: "محمد سيد الكونين والثقلين والفريقين من عرب ومن عجم". ولم يكن ذلك تزيينًا شعريًا، بل إعلانًا لحقيقة من عرف، لا من قال.

وفي زمن يتسارع فيه كل شيء، ويتغيّب فيه المعنى، ونحن أحوج ما نكون إلى الرجوع إلى هذا النور الأول، إلى هذا السر الذي به تقوم القلوب، وتشفى الأرواح، وتبعث الحياة في الإنسان. فيا من تبحث عن الحقيقة، إن لم تجد سيدنا محمدًا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في قلبك، فلن تجد الطريق، ويا من تمشي في درب الله، اجعل هذا النور مرآتك، ومفتاحك، ورايتك، لأن الحقيقة التي لا تؤدي إلى سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، لا تؤدي إلى الله، وصلى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا..

الباب الأول: المقال الثالث: (التربية الروحية والسلوك: طريق الصفاء والوصال)

ليس كل من سلك الطريق قد وصل، ولا كل من نطق بالأذكار قد ذاق، فبين ظاهر الدين وباطنه مسافة لا تُقطع بالأقدام، بل تُطوى بالقلوب. والتصوف في جوهره ليس إلا تربية روحية، تبدأ من تطهير النفس، ولا تنتهي إلا عند سكينة الروح في حضرة الحق، وإن السلوك الروحي ليس ترفاً، ولا تدنياً شكلياً، بل هو حاجة وجودية، إنه ذلك الحنين العميق الذي يشعر به الإنسان إلى مصدره، إنه الظمأ إلى المعنى، والرغبة في النجاة من صحب العالم المادي. ولذلك كان منهج التربية الروحية هو المفتاح، وليس حفظ النصوص أو ترديد الأذكار بلسان غافل، وإن السلوك، كما يفهم في الطريقة الكسنزانية، هو دخول إلى حضرة الله من باب التزكية. وقد قال الله تعالى "قد أفلح من زكّاه، وقد خاب من دسّاه" [الشمس: ٩-١٠] والتزكية هنا ليست فعلاً واحداً، بل مسار طویل يبدأ بالاعتراف بالتقصير، وينتهي بالخضوع التام للمشيئة الإلهية، وإن المرشد الكامل هو حجر الأساس في هذه التربية، فهو الذي يطلع على أمراض النفس، ويصف لكل سالك دواءه، تماماً كما يفعل الطبيب مع المرضى. قال الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس سره "طبيب النفوس هو المرشد، فإذا صادفت قلباً مريضاً، فأعطه بصدق دواء الذكر، وراقبه حتى يبرأ." فالذكر ليس مجرد تكرار، بل دواء يُعطى وفقاً لحال الروح. والمرشد هو من يدرك هذه الحال بإذن الله ونوره.

والتربية الروحية لا تفصل بين الشريعة والحقيقة، بل ترى فيهما جناحين يطير بهما القلب إلى السماء. فلا شريعة بلا روح، ولا حقيقة بلا انضباط.

وقد قال الإمام الجنيد البغدادي قدس الله سره "طرقنا كلها مُسَدَّدةً بالكتاب والسنة، فمن لم يحفظ الكتاب ويعمل بالسنة فليس منا." وإنَّ السلوك لا يعني فقط الخلوات والانقطاع، بل يبدأ من أدق السلوكيات اليومية: الصدق في الحديث، الأمانة في المعاملة، الصبر عند البلاء، وحسن الخلق مع من يُسيء. فليس التصوف لبساً للخرقة، بل صدقاً في السرِّ والعلن. قال أحدُ العارفين "إذا رأيت مَنْ يُكثر من النوافل، ويظهر الخشوع، لكنه يظلم أو يغتاب أو يتكبر، فاعلم أن سلوكه سُطور لا جذور." أما في المدرسة الكسنزانية، فإنَّ السلوك هو طريقُ التخلية والتحلية: تخلية النفس من الصفات الذميمة، كالحسد والرياء والأنانية، وتحليتها بالصفات النورانية، كالمحبة والتواضع والإيثار،

ويُعَلِّمنا أهلُ الطريقة الكسنزانية أنَّ السلوك يبدأ بالنية، ثم بصحبة الشيخ، ثم بالذكر، ثم بالمجاهدة، ثم بالمكاشفة، ثم بالشهود. ولا يصل العبدُ إلى الشهود إلَّا إذا دخلَ مدرسة السكون، وعبرَ وادي الصمت، وذاقَ لذة الخضوع، وليس من الضروري أن يعتزل السالكُ الحياة، بل أن يحوِّل كلَّ لحظة في حياته إلى تجربة روحية: في تعامله مع الناس، في وقوفه في الصلاة، في نظره إلى الفقراء، في تأمله في الشمس والغيم والنفس. وفي زمنٍ فُقدت فيه الروحُ معناها، تبدو التربية الروحية وكأنَّها صوتٌ غريبٌ، ولكنَّها في الحقيقة الصرخةُ الباقية وسط ضجيج الانهيار، وهي الطريقُ الذي لا ينهارُ لأنَّه متصلٌ بالحق. ومن أراد الله، فعليه أن يبدأ من نفسه، فيا سالك الطريق، لا تطلب الكرامة قبل أن تُكرمَ روحك بالتركية، ولا تلهث خلف النور قبل أن تُطفئ ظلماتك، ولا تسأل عن مراتب القرب قبل أن تتعلَّم كيف تقول "يا رب" بصدق طفلٍ ضائع وجدَّ حُضنَ أمه. وإنَّ السلوك ليس مذهباً، إنَّه رجوعٌ إلى الأصل، وزرعٌ في أرض القلب، وانتظارُ المطر من السماء.

الباب الأول: المقال الرابع: (القرآن الكريم نور الحقيقة وطريق السالكين)

"قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبينٌ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سُبُلَ
السلام" [المائدة: ١٥-١٦]

القرآن ليس كتاباً فحسب، بل هو كائنٌ نورانيٌّ حيٌّ، يتنفس في القلوب،
ويتجلى في الأرواح، ويتحدث إلى الوجدان، إنه ليس مصدرَ التشريع
فحسب، ولا ديوانَ الهداية، بل هو السرُّ الذي أنزله الله من عالم الغيب إلى
عالم الشهادة، ليكونَ طريقَ العودة إلى الأصل، وفي مسيرة السالك إلى الله،
يكونُ القرآنُ رفيقاً، مرشداً، ومفتاحاً. كلُّ آيةٍ فيه بابٌ، وكلُّ حرفٍ فيه نبضٌ،
وكلُّ كلمةٍ فيه خطوةٌ على دربِ النور، ولا يقتصرُ دوره على العقل، بل
يتجاوزه إلى القلب، ومن القلب إلى الروح، ومن الروح إلى الملكوت.

والقرآن الكريم هو النور الذي لا يطفأ، والهدى الذي لا يضلُّ، والتسييحُ
الدائم في صمتِ الوجود. وهو كما قال النبي سيدنا محمد صلى الله تعالى
عليه وآله وسلم، "تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب
الله وسنتي" - [رواه الحاكم في المستدرک]. فما دام الإنسان متصلاً بالقرآن،
فإنه لن يتيه في زمنِ التيه لن يطفأ نوره في زمنِ الظلمة. وفي التصوف
والعرفان الكسنزاني القادري، يتجاوزُ فهمُ القرآن ظاهرَ الألفاظ إلى ذوقِ
المعاني، فأيةٌ واحدةٌ قد تُحدثُ قلبَ العارف، وتكشفُ له من الأسرار ما لا
تدرکه مئات الصفحات من الشروح، وذلك لأن القرآن الكريم يتفاعل مع
الروح بقدر صفائها، ومع القلب بقدر إخلاصه، ومع النية بقدر صدقها. قال
الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: "القرآن حبلُ الله المتين، ونوره المبين،

وشفاء الصدور، لا تُحصى عجائبه، ولا تنقضي غرائبه" - [نهج البلاغة]. وهذا النور لا يلمس بالحواس، بل يُعاش بالبصيرة، فمن قرأ القرآن الكريم ولم يتغير، فإنما قرأه بلسانه لا بروحه وقلبه. وفي الطريقة الكسنزانية، يُنظر إلى القرآن الكريم كمرآة لمرشديه الروح، ففيه تتجلى صفات المرشد الكامل، وفيه إشارات إلى مقامات السالكين، وفيه تعليم للصمت، والخضوع، والتوكل، والفناء. وقد كان مشايخ الطريقة الكسنزانية يُربون المريد على أن لا يقرأ القرآن الكريم قراءة سريعة تُحسب بالحروف، بل قراءة مُحببة وتفكير وتجلٍ، وإنهم يعلمون أن كل حرف نور، وكل تكرار باب، وكل دمة تنزل مع آية هي ختم من الله على صدق التلقي. وقد أثبتت دراسات علم النفس أن قراءة القرآن الكريم اليومية تحدث تغيرات في الجهاز العصبي المسؤول عن القلق والتوتر، وأنها تزيد من اتزان الإنسان النفسي. وهذا ما يؤكد السلوك الروحي حين يتصل القلب بالقرآن الكريم لا كمعلومة، بل كمصدر طمأنينة وسكينة. وفي زمن امتلاء بالضوضاء، وصار الصوت أعلى من المعنى، يبقى صوت القرآن الكريم هادئاً، عميقاً، مزلزلاً، لأنه لا يخاطب الأذن، بل يخاطب "القطرة" فيه كل شيء، القصص لمن يريد العبرة، والحكمة لمن يبحث عن الطريق، والسر لمن سلك، والنور لمن استعد، ومن لم يجعل القرآن الكريم صديقه، سيبقى وحيداً وإن اجتمع الناس حوله، ومن لم يذق القرآن الكريم بروحه، لن ترويه كل الكتب، ومن لم يجعل القرآن الكريم مفتاح قلبه، سيبقى عقله مغلقاً وإن حفظ ألف علم.

القرآن الكريم لا يُعطى للغافلين، ولا يفتح للمتكبرين، لكنه يلقي بأسراره في قلب من جلس متواضعاً بين يديه، باكياً، نادماً، مُحباً، مشتاقاً. فيا أيها السالك، إذا تعثرت، عُد إلى النور، وإذا تهت، افتح المصحف، وإذا ضاق صدرك، اقرأ بصمت "الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني، تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم" [الزمر: ٢٣]. ذلك هو القرآن الكريم... كلام الله، ونور الأرواح، وصوت الحق في هذا الوجود.

وصلى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى
آله وصحبه وسلم تسليماً..

هل نتابع بالمقال الخامس في هذا الباب عن الفناء في المرشد والرسول
والله؟

أم ترغب بمراجعة وتنسيق المقالات الأربعة الأولى بشكل موحد قبل
الانتقال؟

الباب الأول: المقال الخامس: (الفناء رحلة الوعي الروحي)

في رحلة السالك إلى الله، يمر القلب بمرحلة غاية في العمق والسمو، هي مرحلة الفناء، هذا الفناء لا يعني الزوال أو الاختفاء، بل هو ذوبان الذات في نور المحبة، واندماج الروح في الحق، وتحرر القلب من كل ما سوى الله سبحانه وتعالى.

والفناء هو جوهر التصوف وأساس السلوك الحقيقي، حيث يختفي الحاجز بين العبد وربّه، بين المرشد والمريد، وبين المحب الصادق مع محبوبه. يقول الشيخ ابن عربي "الفناء هو أن لا يرى العبد إلا الله، ولا يراه أحد إلا الله".

وفي الطريقة الكسنزانية، يُنظر إلى الفناء كحالة روحية مقدسة، تنتج من اتصال تام بالمرشد الكامل، الذي هو نموذج النبي سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، الحي، المظهر الأكمل لحقيقة الله في هذا الوجود. والمريد حين يقترب من المرشد بنية صادقة وتواضع عميق، يبدأ في ذوبان الذات، ويفقد الإحساس بالذاتية المحدودة، فيصبح في حالة من الرابطة الروحية مع نور الأستاذ المربي، ومن ثم مع النبي سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، ومن ثم مع نور الله الذي يتجلى في القلب. والفناء في المرشد هو بوابة الفناء في الرسول، والفناء في الرسول هو بوابة الفناء في الله. وليس معنى الفناء أن تختفي الشخصية أو الفكر، بل أن تتحرر من حب الذات الزائل، وترتبط بحب الله الأبدي. قال النبي سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم "من عرف نفسه فقد عرف ربه". والفناء هو إدراك هذه الحقيقة بعمق. والتجربة الحية تفتح أبواب النور المحمدي الجامع، وهذا

الفناء يفتحُ للسالكِ آفاقاً من النورِ والمعرفةِ والحكمةِ، ويجعله يعيشُ في عالمٍ لا حدودَ فيه للحبِّ والرحمةِ والسكينة. إنَّه طريقٌ لا يقطعه إلا من رزقه الله من الفهم والهدى، ولا يدركه إلا من تذوقَ محبةَ الله الحقَّة. ولذلك، يُعتبرُ الفناءُ أسمى مراتبِ الروح، وهو ذروةُ سلوكِ السالكين، حيث تتبددُ الأنا، ويبقى النورُ وحده، وهو بذلك يحملُ المفتاحَ لفهم الحياةِ والوجودِ من منظارٍ روحيٍّ سامٍ.

وصلَّى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً...

الباب الأول: المقال السادس: (السكينة والطمأنينة ثمرة الاتصال الروحي)

في بحر الحياة المتلاطم، وفي زحام المشاغل والهموم، يبحث الإنسان عن ملجئ يملأه الهدوء، وصفاء النفس، وراحة القلب، وهذه الراحة ليست حلمًا بعيدًا، بل هي حقيقة روحانية تنالها النفوس المُربّات التي اتصلت بالله، وارتوت من نبع الحكمة من خلال مرافقة الأولياء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

والسكينة ليست غيابًا للحركة، ولا هروبًا من الواقع، بل هي حالة من الثبات الداخلي، ونور ينبعث من قلب متصل بربه، يُضيء في وسط العواصف، ويهدأ في خضم الأعاصير، قال الله تعالى "ألا بذكر الله تطمئن القلوب" - [الرعد: ٢٨] وهذه الآية تصف واقعًا يعيشه كل مريد وصل إلى ذروة الرابطة الروحية مع استاذهُ المربي، حيث يصبح الذكر ملجأه، ونور قلبه، ووقود روحه، وفي الطريقة الكسنزانية، يُعلّم المريد أن يزرع في نفسه بذور الصبر والمحبة، وأن يتعوّد على الصلابة الصالحة، والذكر المستمر، والمجاهدة الهادئة، ليصل إلى حالة من السكينة التي لا تتزعزع. والطمأنينة ليست غياب الخوف أو القلق، بل حضور اليقين بالله، والثقة في حكمته، والرضا بقضائه، والاعتراف بأن كل شيء في هذا الكون يمشي بإرادته الحكيمة. وتلك السكينة هي التي تجعل من السالك إنسانًا متزنًا في أقصى الظروف، راشدًا في قراراته، محبًا للآخرين، قادرًا على مواجهة تحديات الحياة بروح قوية لا تنكسر، وإنها ثمرة الروح المتصلة، وعلامة القرب من الله، وجائزة الصابرين على طريق الحق. وهكذا تكون السكينة والطمأنينة

عنونا حقيقيا للحياة الروحية التي تبدأ بها الرحلة الروحية الشاقة والشيقة، كما يصفها السيد الشيخ السلطان الخليفة محمد المحمد الكسنزان الحسيني قدس الله سره، وهذا الوصف يعبر عن حالة روحية عظيمة وهي تجمع بين الألم واللذة، بين القشعريرة الروحية الصادقة، وبين هوى الشعور المرتبط بالنفوس الضعيفة، وهو ما يعبر عنه بحالة الوجد، وهي مقامات السالكين في منهج الطريقة الروحية، مستلهما من التصوف والعرفان والإلهام الكسنزاني، حيث تستقي الأرواح الطاهرة بالأنوار المحمدية، وهي الجامعة لكل شيء حيث تبدأ بها، وتنتهي بها، لتصبح حياة الإنسان كلها نورا وسلاما. وصى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا..

الباب الثاني: "التربية الروحية والسلوك"

(في تهذيب النفس يرتقي الإنسان، وفي سلوك الروح تنعكس أنوار القلب على دروب الحياة)

الباب الثاني: المقال الأول: (النفس بين التزكية والتربية)

منذ اللحظة التي يستيقظ فيها الوعي في الإنسان، تبدأ رحلته الأعمق، حيث تسكن النفس، وتنبض الروح، ويبدأ الصراع الأبدي بين الظلام والنور. النفس ليست خصمًا دائمًا، وليست شرًا خالصًا، بل هي مرآة غير مصقولة تعكس ما بداخلنا، وقد تُخفي في طياتها نورًا ينتظر من يزيل عنه الغبار، وفي جوفها تكمن الميول والرغبات، وتثور فيها النزوات، وقد تتحول، إن تُركت دون تهذيب، إلى سجن يقيّد الروح ويطمس أنفاسها تحت ركام الهوى والتشتت والأنانية، ومع ذلك، فهي أيضًا طريق المجاهدة، وميدان التزكية، وجسر التربية، ومن خلالها نصل، وعليها نحاسب، وبها نرتقي أو نسقط. والتزكية ليست مجرد تطهير سطحي، بل هي عملية وجودية تتطلب صدقًا داخليًا، وتفرغًا من شوائب الغرور، والحسد، والرياء، والكبر. وهي كما وصفها أهل الطريق، "محو الظلمة لكشف النور"، وهي مثل صقل المرآة حتى تعكس وجه الحقيقة بلا تشويه. كل مرة يواجه فيها الإنسان نفسه، بضعفه، بغضبه، برغباته، ويختار أن يطهر قلبه ويهذب سلوكه، ويكون قد خطا خطوة في طريق التزكية. أما التربية الروحية فهي مرافقة دائمة، لا تبدأ في لحظة وتنتهي، بل هي صحبة مستمرة بين العبد وربّه، بين السالك

ومرشد، بين القلب وذكر الله. التربية الروحية ليست كبتاً للنفس بل ترشيدها، لا تهميشاً للرغبة بل تسامياً بها، لا إنكاراً للذات بل تهذيباً لها حتى تصبح خادمة للروح لا سيدة على القلب، وكما قال الإمام الغزالي: "النفس مرآة الروح، فإذا صفا الماء، ظهرت الصورة بوضوح". فإن التربية هي التي تُصفي هذا الماء، وتُزيح الغشاوة عن تلك الصورة، حتى يرى السالك ذاته كما خلقها الله طاهرة، قابلة للنور، مستحقة للقرب. وفي الطريقة الكسنزانية، تتجلى التربية الروحية كمسارٍ دقيقٍ تُبنى فيه النفس لبنة لبنة، وتُغذى فيه الروح بذكر الله، وتُربط السلوكيات اليومية بالمعنى الأعلى، فلا حركة بلا نية، ولا كلمة بلا مقصد، ولا عبادة بلا روح. منهج التربية الروحية والسلوك في الطريقة الكسنزانية هنا ليست دروساً محفوظة فقط، بل حالٌ يُعاش، ونورٌ يُستشعر، وتحوّل داخليّ يستمر مدى الحياة. والسالك في هذه المدرسة لا يُدرّب على الهروب من الدنيا، بل على التعامل معها بروحانية على خوض معركة النفس لا للهزيمة بل للانتصار، على أن يجعل من قلبه ساحة سلام، ومن عقله ميزان عدل، ومن سلوكه طريقاً نحو الحضرة الإلهية.

وفي أعماق كل إنسان صراع لا يرى، بين ما يريد أن يكون، وما يخاف أن يصبح، ولكن التربية الروحية تأتي لتقول له: لست وحدك، ولست عاجزاً، فيك بذرة النور، وفيك قوة المجاهدة، وفيك القدرة على السمو الروحي والإسهام الفاعل في نهضة روحية صوفية عرفانية كسنزانية. وفي كل مرة تختار فيها الصدق على الزيف، والعفة على الطمع، والذكر على الغفلة، فإنك تزرع زهرة جديدة في بستان النفس، وتضيء شمعة على طريق الروح. والسلوك ليس لحظة، بل مسار طويل، قد يُثقل فيه التعب القلب، وتُظلم فيه بعض الدروب، لكن من صدقت نيته، ولزم الذكر، وصحب الصالحين، وسار خلف مرشد عارف، فإن الله لا يضيع له جهداً، ولا يُخيب له رجاءً. ذلك أن التربية الروحية والسلوك الحقيقي يصنع رجالاً لا تهزمهم الدنيا، وقلوباً لا

تطفئها العواصفُ، وأرواحًا تُحلّق حتى في ظلمةِ المحنِ، لأنّها عرفت طريقَ
العودةِ، وزرعت بداخلها نور النجاة.
وصلّى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى
آله وصحبه وسلم تسليمًا..

الباب الثاني : المقال الثاني : (السلوك ومنهج القلوب والأرواح)

الناس يسرون على الأرض بأجسادهم، لكن قلة هم من يسرون في الله بقلوبهم. والسلوك ليس مجرد أفعال ظاهرة، بل هو خريطة خفية تُنقش في باطن الإنسان، تُشكّل روحه وتوجّه قلبه نحو جهة واحدة: الله.

والسلوك هو فن تطويع القلب، وهندسة الروح، وترتيب الداخل حتى يصبح مهياً لاستقبال الفيض الإلهي. إنه تربية روحية شاملة تبدأ من لحظة الصدق مع الذات، وتستمر مع كل نفس يذكر فيه الله. وكل موقف يختار فيه النور على الظلام، والإيثار على الأنانية.

وفي الطريقة الكسبانية، السلوك هو أكثر من خطوات، وهو منهج حياة، يُعلّمه الشيخ المرشد لمريديه ولا يكون بالكلمات فقط، بل بالحال والمقام والنظر النوراني. فالسالك لا يأخذ الطريق من الكتب وحدها، بل من قلب حي ينبض بالحقيقة، يُرشده إلى السير في الظلام حتى يصل إلى النور، ومنهج القلوب لا يُكتب بالحبر، بل يُكتب بالدموع، ويُقرأ بالبصيرة، ويفهم بالحب، ويُطبّق بالصبر. وقد كان أهل الله يقولون "لا يدخل الحضرّة من لم يُطهر سرّه، ويغسل قلبه من شوائب الدنيا".

والسلوك الحق لا يترك في القلب مكاناً للحقد، ولا في العقل مكاناً للغرور، ولا في اليد سبباً للبطش، إنه تهذيب شامل: في النية، وفي الكلمة، وفي النظرة، وفي المعاملة، فالسالك إن نطق، نطق بالحكمة، وإن صمت، فصمته ذكر، وإن تصرف، ففعله رحمة.

وهذا المنهج ليس انفصلاً عن العالم، بل هو عودة راقية إليه، فالسالك لا يعتزل الناس ليترفع عليهم، بل ليعود إليهم نقيّاً، طيباً، باذلاً، لطيفاً، كالنبع

في قلب الصحراء. والسلوك ليس ادعاء كرامات، ولا ظهور مظاهر، بل هو استقامة خفية، ووفاء داخلي، وحب صامت لله. وقد قال الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس سره "ليس العجب ممن يرى الخوارق، ولكن العجب ممن يبقى على طريق الاستقامة في زمن الفتن. "ومنهج القلوب يعلمك أن تحسن الظن بالله، وأن تزرع الود في الناس، وأن تتعامل مع الحياة كأنك ضيف فيها، تكرم ولا تؤذي، وتبني ولا تهدم. فيا أيها السالك، إن لم تجد في قلبك نوراً بعد الذكر، فاسأل نفسك عن صدقك، وإن لم تجد سكيناً بعد العبادة، فراجع نيتك، وإن لم تجد حباً للخلق بعد الطريق، فاعلم أنك ما بدأت بعد. وصلى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا..

الباب الثاني: المقال الثالث : صفاء السر ورياضة النفس

إن صفاء السر ليس حالة عابرة، ولا لحظة من لحظات التجلي العاطفي، بل هو مقام رفيع في طريق السلوك إلى الله، لا يُنال إلا برفقة الأستاذ المربي والاذكار، ورياضة النفس ومجاهدتها، حتى تتخلّى عن طبائعها المكتسبة وتتطهّر من أدرانها الخفية، فالنفس بطبيعتها تميل إلى الشهوة، وتُحب الراحة، وتطلب الظهور، وتستعذب الثناء، وإذا تُركت على سجيّتها، قادت الإنسان إلى دروب الغفلة وأودية التيه، أما إذا رُوّضت بِلين الحكمة وشدة المجاهدة، فإنها تتهذّب، وتلين، وتشفّ، ويبدأ القلب في التفتح، والروح في الترقّي، والسر في الصفاء، ورياضة النفس ليست عُزلة عن العالم، بل هي حضورٌ مختلف فيه، وهي أن تعيش بين الناس ولا يعلّق قلبك بشيء منهم، أن تتعامل مع الدنيا وتبقى روحك متعلّقة بالمطلق، أن تبذل الأسباب دون أن تُفتن بها، وأن تسعى دون أن يأسرك الطموح، هي ألاّ تتكئ على شيء سوى الله، وألاّ تسكن إلا إلى وجهه، فكل ما سواه فانٍ، زائل، متحول، لا يملأ فراغ القلب، ولا يُغني جوع الروح، ومهما بدا مغرياً، يظلّ وهمًا إذا لم يكن مسلكه إلى الله،

وصفاء السر يبدأ من لحظة صدقٍ مع النفس، لحظة اعتراف بالضعف، والانكسار، والاحتياج، لحظة تعرّ من كل زخرفٍ داخليٍّ وخارجيٍّ، لحظة خروج من قفص الصورة إلى أفق الحقيقة، ومن ضجيج الفكر إلى صمت القلب، حينها فقط تبدأ الروح بالتحرك، ويتسع الصدر لما لا يُطاق، ويتنزل النور في مواضع الظلمة، ويصير الحزن بابًا للفهم، والوجع جسراً للذوق، والبكاء مفتاحاً للوصول، وأما رياضة النفس فهي السير الحثيث بين "التخلية"

و"التحلية"، أن تُفَرِّغ القلب من الحسد والحقد والغرور والكبر والأنانية والرياء، ثم تُعَمِّره بالتواضع، والحب، والصفاء، والصدق، والعفو، والسكينة، أن تُجَاهِد نفسك في لحظات الغضب فلا تنطق بما يجرح، وفي لحظات الشهوة فلا تسقط في الحرام، أن تردّ المذمّة بالحلم، وتُقابِل الإساءة بالإحسان، أن تذللّ لله حتى تعلو به، وتفنّي فيه حتى تُوجَد على بصيرة، والسر لا يصفو إن كان القلب مشغولاً بالأحقاد، ولا يصفو إن كان العقل مُثَقَّلًا بالظنون، ولا يصفو إن كان الجسد عبدًا للراحة، بل يصفو إذا جُوعَ البطن، وُضِمَت اللسان، وسُهِرَ الليل، وبُذِلَت الصدقات، وذُكِرَ الله في السر والعلن، حينها تبدأ النفس بالتطهر، وتُزاح طبقات الغشاوة عن العين الباطنة، ويُرى الوجود على حقيقته، لا كما ترسمه الأهواء، وصفاء السر ليس وصولاً، بل هو بدايات الوصول، هو الإذن بالدخول إلى حضرة النور، إلى مقام مناجاة، وتجلّي، وتقرب، لا تُسمَع فيه الأصوات، ولا تُحكى فيه الأقوال، بل يُذاق فيه الحال، ويُعاش فيه الإشراق، هناك تُولد الروح من جديد، كأنها لم تُخلق من قبل، وتتغير ملامح القلب كما تتغير الأرض بعد المطر، وتُصبح الحياة كأنها أول مرة تُعاش، خفيفة، جميلة، صافية، لا تثقلها التفاصيل ولا تُزعجها الضوضاء، وما أجمل أن يعيش الإنسان بهذا الصفاء، أن لا يحمل في صدره حقدًا، ولا على لسانه غيبة، ولا في قلبه إلا دعاء، أن يُسامح من ظلمه، ويُحب من خذله، ويخاف على من آذاه، لأن النفس التي صَفَتْ، لا تُبقي في مساحاتها إلا للرحمة، ولا تعيش إلا في نور، ولا تنطق إلا بما يرضي الله، فذلك هو العبد الصادق، الذي تخلّى عن نفسه فمُنح روحه، وتطهّرت سريره فانبثقت منه أنوار المحبة والسكينة، وسار إلى الله بخُطى المُحبّين، لا تَمَنُّ في قلبه، ولا عُجْب، بل تواضع، وخضوع، وشكر، فذلك هو الصفاء الحق، وذلك هو سرّ الرياضة، وتلك هي بداية الفتح، وصلى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا..

الباب الثاني: المقال الرابع: (جبر الخواطر وكسرها مرايا الروح)

من أسرار التربية الروحية في طريق القلوب، أن أعظم القربات إلى الله ليست دائماً في الصلوات الطويلة، ولا في الصيام الممتد، بل في جبر الخواطر، ذلك الفعل البسيط في ظاهره، العميق في أثره، الذي يعكس صفاء القلب وسعة الروح، وجبر الخاطر ليس فقط موقفاً إنسانياً، بل سلوكاً روحي راق، يُجريه الله على يد من صفت سريره، فصار مرآة لرحمته، وقد قيل "ما عبد الله بشيء أحب إليه من جبر الخواطر." وإن لم يكن هذا الحديث مرفوعاً بثبوت صحيح، لكنه محفوظ في قلوب العارفين، مجرب في حياة المحبين، معمول به في سير الأولياء والصالحين. وحين ترى قلباً منكسراً وتمسح عليه بكلمة، أو تطفئ ناراً بكف صمتك، أو تبسم في وجه مهموم، فإنك تمارس صورة من صور الرحمة الإلهية على الأرض، فالله، في أحد أسمائه، هو "الجبار"، لا بمعنى القاهرة فقط، بل أيضاً الذي يجبر كسر عباده برحمته. وفي الطريقة الكسنزانية، يُعلم المريد أن الخدمة أساس السلوك، وأعلى مراتب الخدمة جبر القلوب، فالشيخ المرشد لا يُعرف بعدد مريديه، بل بعدد القلوب التي أصلحها، والأرواح التي أعاد إليها النور. أما كسر الخواطر، فهو جريمة خفية، لا يُسمع صوتها لكنها تُمزق الأرواح، والكلمة الجارحة، النظرة المتعالية، الصمت القاسي، الظلم العابر... كلها خناجر تطفئ في صمت.

وقد قال سهل بن عبد الله التستري "لا تنظر إلى كثرة صلاتك وصيامك، ولكن انظر هل كسرت قلباً يوماً؟". وجبر الخواطر لا يحتاج علماً، بل قلباً، لا يحتاج قوة، بل لطفاً، لا يحتاج سلطاناً، بل تواضعاً، وهو في حقيقته فعل تصوف نقي، لأن الصوفي هو من يجعل قلبه متاحاً، وعينه مبصرتين لحاجة

الآخرين، ويديه بابًا للرحمة. وقد ثبت في علم النفس المعاصر أنّ من يُجبر الخواطرَ ويمارس اللطف والاحتواء، تنخفض لديه معدلاتُ القلق والاكتئاب، ويرتفع شعوره بالرضا والسلام الداخلي. وما هذا إلا انعكاسٌ لسرٍّ من أسرارِ الله في هذه الأرض: أنّ من جبر عباده، جبره الله، فيا سالك الطريق، إذا أردت أن يفتحَ الله لك مغاليقَ القلوب، فاجبرها، وإذا أردت أن يسكنَ النورُ فيك، فكن مَسْكَنًا للضعفاء. وإذا أردت أن تكونَ مرآةً للرحمة، فكن طيفًا يُنقذَ خاطرَ حين يُكسرُ في صمتٍ.

وصلّى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا..

الباب الثاني: المقال الخامس: (الصبر سلوك على جسر البلاء)

الصبرُ ليس تحمُّلُ الألمِ فحسب، بل هو فنُّ الانتظارِ بثقةٍ، وقوةُ الصمتِ في حضرةِ الغيبِ، وعبادةٌ لا تُرى ولكن تُكافأُ بنورِ اليقينِ، وإنَّ الصبرَ ليس تَبَلُّدًا أو استسلامًا، بل إيمانٌ داخليٌّ عميقٌ بأنَّ الفرجَ آتٍ، وأنَّ البلاءَ ليس نهاية، بل جسرٌ نحو الرضا والنور. قال الله تعالى: "إنما يُوفَى الصابرون أجرهم بغير حساب" [الزمر: ١٠] وهذا الوعدُ ليس وعدًا مؤجلًا فقط، بل هو طمأنينةٌ تبدأ من لحظةِ الصبرِ ذاته، فكل لحظةٍ يصبر فيها الإنسانُ على أذى، أو انتظارٍ، أو فقدٍ، أو ظلمٍ، فإنَّ الله يربُّث على قلبه برحمةٍ خفيةٍ.

والتصوُّف ينظرُ إلى الصبرِ ِ أنَّه فضيلةٌ غير منفصلة، بل هي جزءٌ من بُنية الروحِ السالكةِ، فالسالكُ الصادقُ لا يمشي إلا على جمرِ الاختبارِ، ولا يبلغ إلا بعد طولِ انتظارٍ، ولا يتجلَّى له النورُ إلا بعد مرارةِ المجاهدةِ في مخالفةِ النفسِ والهوى، وفي الطريقة... وفي الطريقة الكسنزانية، يُربِّي المريد على الصبر قبل أي كرامة، وعلى الثبات قبل أي مكاشفة.

وقد قال الشيخ محمد المحمد الكسنزان قدس سره "الصبرُ هو أولُ حلقةٍ في سلسلةِ السيرِ إلى الله، ومن كسرَها، لا يصل. "والصبرُ ليس فقط على البلاءِ، بل على النفسِ، وعلى الهوى، وعلى فتنةِ العجلةِ، وعلى ألمِ التزكيةِ، وعلى تخلي الناسِ، بل أحيانًا، يكونُ الصبرُ على النورِ ذاته، حين يُشرقُ ثم يُحتجبُ، ليعلمَكَ ألا تتعلّقُ بالكرامةِ، بل بمن أكرمَكَ. وقد قال الإمامُ جعفر الصادق عليه السلام "إذا نزلت بك بلية، فلا تشكُّ إلا إلى الله، فهو الذي يملك رفعها، ويعلم سرّها، ويمتحنك بها. "وللصبرِ وجوه، الصبرُ الجميلُ بلا شكوى، وصبرُ القوي بلا كبرياء، وصبرُ العارف مع الرضا، وصبرُ

العاشق مع الشكر. والفرج لا يأتي فجأة، بل يتسلل رويدًا إلى قلبك، على هيئة سكين، ثم يزهر حولك على هيئة تغيير، ثم يغمرك كفيض نور من الله. وكلما طال الطريق، كبر الأجر، وكلما اشتد الظلام، اقترب الفجر. وقد أثبتت دراسات علم الأعصاب أن الأشخاص الذين يتبنون قيمة الصبر في حياتهم يكون لديهم نشاط أعلى في مناطق الدماغ المرتبطة بالتحمل النفسي، واتزان الانفعالات. فيا سالك الطريق، إذا أبطأ النور، فاثبت، وإذا طالت الليالي، فاذكر. وإذا جُرحت في حب الله، فاعلم أن الجراح مراهم للمقامات، وإذا قيل لك: متى؟ فقل: موعدنا الفجر، وواعد الله حق.

وصلى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا..

الباب الثاني: المقال السادس: (رحلة السلوك من المجاهدة إلى الشهود)

السلوك هو بداية في الطريق، وهو الطريق نفسه، وهو المسير الداخلي الذي لا تُرى خطاه، لكن يُشعُّ نوره. يبدأ من لحظة صدق، ولا ينتهي إلا إذا فني السالك في محبوه. والسلوك في جوهره ارتقاء تدريجي، لكنه ليس خطأً مستقيماً، بل تعرّجات من الألم، ودوائر من التكرار، وصعود يتخلله سقوط، وانكسار يعقبه إشراق.

وأول مرحلة في السلوك هي مجاهدة النفس، أي مقاومة النفس، وتربية الطباع، ومخالفة الهوى، قال تعالى "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا" [العنكبوت: ٦٩]

فالمجاهدة دليل على الإرادة، وبرهان الصدق، وشرط الوصول، وهي مرحلة تتطلب الصبر، والانضباط، وتحمل الغربة بين الناس، بل أحياناً الغربة عن النفس ذاتها، ثم تأتي مرحلة المراقبة، وهي أن يعيش السالك وكأن الله يراه في كل لحظة، فيحفظ قلبه ولسانه وسره، ويَزِن كل فعل بميزان القرب. وقد قال الإمام الجنيد البغدادي قدس الله سره "السالك إذا غفل عن ربه لحظة، ضل الطريق، ثم مرحلة المحبة، وفيها لا يعود السلوك تكليفاً، بل يتحوّل إلى شوق، ويصلي لأنه يحب، لا لأنه يخاف، ويذكر لأنه يشاق، لا لأنه مأمور، ويبدّل لأنه يرى وجه ربه في كل فقير ومظلوم ومتروك. ثم تأتي السكينة، وهي أن يستقر النور في القلب، وتخفت الأصوات، وتنضج المشاعر، ويعيش السالك في توازن بين الوجد والسكون، بين التوكل والسعي، بين الحضور والغياب. أمّا ذروة الطريق، فهي الشهود حين يغيب السالك عن نفسه، ويحضر بالله حين يرى الوجود لا بعينه، بل بنور الله، حين

يُصْبِحُ ذَكَرُ اللَّهِ جِزْءًا مِنْ أَنْفَاسِهِ، لَا مَجْرَدَ وَرْدٍ يَرُدُّهُ، وَفِي الشُّهُودِ، لَا يَرَى السَّالِكُ كَرَامَاتٍ، بَلْ يَرَى الْحَقِيقَةَ، وَلَا يَطْلُبُ الْمَنَازِلَ، بَلْ يَرْضَى بِالْمَقَامِ الَّذِي أَرَادَهُ لَهُ اللَّهُ، وَلَا يَعُودُ بِحَاجَةٍ إِلَى إِثْبَاتِ شَيْءٍ، لِأَنَّهُ ذَاقَ، كَمَا قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ الْكِيْلَانِي قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ "مَنْ ذَاقَ عَرَفَ، وَمَنْ عَرَفَ اغْتَرَفَ، وَمَنْ اغْتَرَفَ مَا نَسِيَ أَبَدًا."

وَفِي الطَّرِيقَةِ الْكُسْتَرَانِيَّةِ، يُرَبِّي الْمُرِيدَ عَلَى هَذَا السَّلُوكِ بِتَدْرِجٍ، رَحْمَةً بِهِ، وَلُطْفًا عَلَيْهِ، فَالشَّيْخُ الْمُرْشِدُ لَا يُحْمَلُ النَّفْسَ مَا لَا تَطِيقُ، بَلْ يَفْتَحُ الْبَابَ تَلْوِ الْبَابِ، وَيَأْخُذُ بِيَدِهِ كَمَا يَأْخُذُ النَّوْرُ بِيَدِ الْعَتَمَةِ. وَالسَّلُوكُ لَيْسَ سَبَاقًا، بَلْ سَيْرٌ بِصَبْرٍ، وَلَيْسَ مَظَاهِرٌ، بَلْ تَحَوُّلٌ دَاخِلِيٍّ، وَلَيْسَ ادِّعَاءٌ، بَلْ تَجَرُّبَةٌ حَيَّةٌ، وَلَيْسَ مَرَاحِلٌ مَحْفُوظَةٌ، بَلْ عِلَاقَةٌ حَيَّةٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ. فَعَلَى السَّالِكِ أَنْ لَا يَلْتَفِتَ لِلسَّرْعَةِ، بَلْ لِلصَّدَقِ، وَلَا يَهْرَبُ مِنَ السَّقُوطِ، فَهُوَ بَابُ الْفَهْمِ، وَلَا يَسْتَعْجِلُ الشُّهُودَ، فَالنَّوْرُ يُعْطَى فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَرَى فِيهِ اللَّهُ قَلْبَكَ مُسْتَعِدًّا.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْوَصْفِ وَالْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ وَالْحِكْمَةِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا .

الباب الثالث: القيم الإنسانية والتوازن المجتمعي

(حينَ تشرقُ القيمُ في سلوكِ الأفراد، يتزنُ ميزانُ المجتمعات، ويصبحُ العدلُ رحمةً، والرحمةُ نظامًا، والإنسانُ مركزُ الكونِ لا ضحيته)

الباب الثالث: المقال الأول: (الكرامةُ الإنسانيةُ جوهرُ الاستخلافِ في الأرض)

خَلَقَ اللهُ الإنسانَ في أحسنِ تقويمٍ، ومنحهُ العقلَ والضميرَ، وجعلَ له الكلمةَ والحريةَ والقدرةَ على الفعلِ والتغييرِ، ثم خاطبهُ بخطابِ الرفعةِ والتكريمِ، فقال في محكمِ كتابهِ الكريمِ "ولقد كَرَّمنا بني آدمَ وحملناهم في البرِ والبحرِ، ورزقناهم من الطَّيِّباتِ، وفَضَّلناهم على كثيرٍ ممَّن خلقنا تفضيلاً" [سورة الإسراء: ٧٠]

والكرامةُ الإنسانيةُ ليست هبةً من قانونٍ أو دستورٍ، ولا منحةً من حاكمٍ أو سلطةٍ، بل هي أصلٌ إلهيٌّ في فطرةِ الإنسانِ، وكلُّ مَسٍّ بهذه الكرامةِ هو خرقٌ للعهدِ الرباني مع خلقه، وانتهاكٌ لمركزيةِ الإنسانِ في مشروعِ الاستخلافِ في الأرضِ، ومن هنا، فإنَّ المجتمعات التي تنتهكُ كرامةَ الإنسانِ بأيِّ شكلٍ من أشكالِ الظلمِ أو الإهانةِ أو الإقصاءِ أو الاستغلالِ، إنَّما تُخالفُ ناموسَ السماءِ، وتُعَرِّضُ نفسها للهدمِ من الداخلِ، وفي الرؤيةِ الصوفيةِ الكسَنَزيَّةِ، تُعتبرُ الكرامةُ مرآةَ الروحِ، فكلما سمت الروحُ وتهذَّبَ السلوكُ، ازدادَ احترامُ الإنسانِ للناسِ من حوله، وأصبحَ عطوفًا على

الضعيف، مكرّمًا للغريب، محافظًا على ماء وجوه الآخرين. وقد قال الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان القادري الحسيني قدست اسراره "احفظ كرامة الآخرين، فإنّها مرآتك في عين الله، وإنّ من كسر خاطرًا فقد كسر بابًا بينه وبين مولاه. "والكرامة لا تتعلّق بالمكانة الاجتماعية، ولا بالمال أو القوة، بل ترتبطُ بجوهر الإنسان وحريته وقدرته على التعبير والاختيار والتفكير. وصاحبُ الحاجة في الطريق يملك كرامةً، كما يملكها العالم والقاضي، والمرأة في بيتها لها كرامة، كما لرئيس الدولة. وقد شدد النبي سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على هذا المعنى حين وقف لجنازة يهودي، فقيل له: إنّها جنازة يهودي، فقال: "أليست نفسًا؟" [رواه البخاري ومسلم]. وهذا هو السمو الإنساني الذي علّمه الأنبياء، وعبر عنه الأولياء، وتُحييه اليوم كل روح لا تزال تعرف معنى النبل والتقوى،

وفي عالم اليوم، حيث يُدهس الضعيف، ويُهان المختلف، ويُستغل المحتاج، فإن أول خطوة نحو الإصلاح هي إعادة ترسيخ مبدأ الكرامة كقيمة غير قابلة للمساومة، وإذا أردنا عدالة، فلنبداً بالكرامة، وإذا أردنا سلامًا، فلنؤسس على الكرامة، وإذا أردنا نهضة، فلنحفظ كرامة كل عامل، وكل مزارع، وكل طفل، وكل امرأة، وكل مريض، وكل من لا صوت له، فالكرامة لا تُشتري، بل تُحترم، ولا تُمنح من أعلى، بل تُكتشف في عمق كل إنسان. وصلى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا..

الباب الثالث: المقال الثاني: (الوفاء: عطر القلوب وميزان الأرواح)

الوفاء ليس خلقاً عابراً يُستعمل عند الحاجة، بل هو جذر أصيل في روح الإنسان الراقي، ينبع من نبل الطبع، وصفاء النية، وصدق العهد، وهو من أسمى صور الإنسانية وأكثرها ثباتاً أمام تقلبات الزمان. والإنسان الوفي لا يُغيّره غياب الناس، ولا يُبدّله تبدل المصالح، ولا ينقض عهداً حتى لو كان في موضع قوة أو غلبة. وقد قال الإمام علي عليه السلام "الوفاء توأم الصدق، والصدق دليل الإيمان." [نهج البلاغة] والوفاء أن تذكر المعروف، ولو مضى عليه دهرٌ، وأن تحافظ على العهد، وإن تغيرت الظروف، وأن تذكر الغائبين بخير، وتمتد يدك للمحتاجين، دون انتظار المقابل، وأن تبقى وفيّاً لرحمة قديمة، أو نصيحة صادقة، أو نظرة محبة كانت سبباً في نهوضك. وفي التصوف، الوفاء هو ركنٌ من أركان السلوك، لأنّ السالك لا يبلغ مقام الصدق حتى يكون وفيّاً مع شيخه، مع إخوانه، مع فطرته، ومع ربه أولاً.

وفي الطريقة الكسنزانية، يُربى المريد على أن الوفاء، وهو لا يُقاس بالكلام، بل بالثبات عند الامتحان، وبالوفاء لمن غاب، وبالدعاء لمن أحسن، وبالستر على من أخطأ، وقد قال الشيخ السلطان الخليفة محمد محمد الكسنزان قدس سره "الوفي لا يخون روح الطريق، ولو ضاقت عليه السبل، لأن من خان الوفاء خان النور." والوفاء قد يكون بكلمة، وقد يكون بدمعة، وقد يكون بأن لا تذكر أخاك الذي رحل إلا بخير. وقد يكون بأن تحافظ على رسالة بدأها من سبقك، وتبقى حاملاً للراية بعدهم.

وفي مجتمعاتنا، حين ننسى الوفاء، يبدأ التفكك، وحين يُصبح الغدر ذكاءً، يبدأ الانهيار الأخلاقي، وما من حضارة سامية قامت إلا على العهود

والروابط الأخلاقية المتينة، حتى الوفاء في العلاقات البسيطة بين الزوجين، الأصدقاء، الجيران هو أساس السلام الداخلي. الوفاء للأُم، للمعلم، للوطن، للفكرة، للتجربة، للآلام التي علمتك، والأوفياء لا يصنعهم الزمن، بل يُصنع بهم الزمن، وهم شموع الذاكرة التي لا تنطفئ، ونبض المحبة الذي لا يذبل، وهم أساس ثقة الناس بالحياة، والثقة بالحياة أساس القوة، وصلى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

الباب الثالث : المقال الثالث : (العدالة الميزان الذي تقوم به الحياة)

العدالة ليست قانوناً يُسنُّ فحسب، ولا شعارات تُرفعُ في المحافل، بل هي روحٌ تُسكبُ في حياة الناس، فتجعلها متوازنةً كريمةً، صالحةً للعيش والكرامة والنمو. قال الله تعالى "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ..." * [سورة النحل: ٩٠]

العدالة ليست مساواةً جامدةً، بل هي تقديرٌ حكيمٌ لاحتياجات الناس وظروفهم، وإعطاء كل ذي حق حقه، وهي أن لا يُترك الفقير للجوع، ولا يُهان الضعيف، ولا يُكافأ القوي على ظلمه، وهي أن يُحترم الإنسان لا لأنه غني، بل لأنه إنسان. والعدالة الاجتماعية لا تقتصر على الأجور أو الوظائف، بل تشمل كرامة السكن، وتكافؤ التعليم، وفرض العلاج، وحق التعبير، والمشاركة في القرار. فإذا سقط ميزان العدالة، ارتفعت أصوات الغضب، وانهارت الثقة، وبدأت الشروخُ تتسللُ إلى أساسات المجتمع.

وفي التصوف، العدالة ليست قانوناً... فحسب، بل حالة نورانية يعيشها السالك، فلا يظلم، ولا يحتكر، ولا يستغل، ولا يشمت، بل يوزع الرحمة كأنها رزقه، وقد قال الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان القادري الحسيني قدس سره "العدل رحمة متزنة، من غلبت عليه، سكنت في قلبه الحكمة." والعدالة الاقتصادية لا تعني أن يكون الناس أغنياء بالتساوي، بل أن يُرفع الظلم عن الفقير، ويُعطى العامل أجره بكرامة، ويُوفّر التعليم لأبناء البسطاء، وأن لا يكون المال أداة للاستعباد، بل وسيلة للبناء، وقد جاء في حديث النبي سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته" [رواه البخاري] وهي دعوة للعدل بين الناس، كلٌّ في

موقعه: الحاكم، الأب، المعلم، التاجر، العالم، وفي علم الاقتصاد الحديث، ثبت أن المجتمعات ذات الأنظمة الأكثر عدالة، ترتفع فيها مستويات الثقة، وتقلّ فيها الجرائم، وتزداد الإنتاجية، وينخفض الهدر العام، بل وتحسن صحة الناس النفسية والجسدية. والعدالة ليست رفاهية، بل ضرورة وجودية. فإذا أردنا أن نحارب الفقر، فلا نُحارب الفقراء، بل نحارب الجشع. وإذا أردنا مجتمعًا راقياً، فلنزرع العدالة في المدرسة، في المسجد، في المصنع، في البيت، وفي الإعلام، فيا أيها الإنسان لا تُحقق العدالة بسلطة، بل بضمير، ولا تُمارسها بمزاج، بل بمسؤولية، ولا تطلبها لنفسك، إلا إذا أعطيتها لغيرك أولاً.

وصلّى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا..

الباب الثالث: المقال الرابع: (جبر النفوس والقلوب إصلاح في زمن الانكسار)

في هذا العالم المتسارع المزدهم، تتكسر النفوس بصمتٍ، وتتعبُ القلوب دون أن تشتكي، وتنهارُ الأرواحُ في الظل، حيث لا أحد يسمع، ولكن الله يسمع، ومن هنا، يُصبح جبرُ الخواطرِ والنفوسِ من أعظم العبادات، وأرقى السلوكيات، وأكثرها حضورًا في ميزان القيم الإلهية. قال النبي سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم "من نَفَسَ عن مؤمنٍ كربةً من كربِ الدنيا، نَفَسَ الله عنه كربةً من كربِ يوم القيامة" [رواه مسلم]. وليس الجبرُ دائمًا بالعطاء المادي، بل هو نظرةٌ رحيمةٌ، كلمةٌ صادقةٌ، حضنٌ روحيٌّ، صمتٌ متفهمٌ، دعاءٌ في الغيب، أو عدم الإحراج في لحظةٍ ضعف.

إنه ببساطة أن تجعل الآخر يشعر أنه ليس وحيدًا. وفي التربية الروحية، وخاصةً في التصوف الكسنزاني، جبرُ القلوب أصلٌ من أصول الطريق، فالمرشد لا يُقيّم مريديه بما يحفظون من الأوراد فقط، بل بما يجبرون من قلوب، ويرفعون من أرواح، ويصلحون من حال من حولهم. وقد قال الشيخ محمد المحمد الكسنزان قدس سره "من جبر قلبًا، جبر الله روحه." والناس لا تحتاج دائمًا إلى حلول، بل إلى من يفهمهم، من لا يشعرهم بالذنب، من يُربّت على أوجاعهم ولو بالكلمة الطيبة.

وقد قيل في أمثال الحكماء "ربّ كلمة قالت لصاحبها: قم، فقام من قعر حزنه إلى ذروة الرجاء." حتى في العلاقات الأسرية، فإن جبر الزوجة، أو الابن، أو الأم، هو فنٌ راقٍ من فنون العشرة، وفي مواقف القيادة، فإن جبر موظف مكسور، قد يعيد له معنى الحياة، وفي الطريق، فإن جبر قلب سائلٍ

محتاج، قد يكون لك باباً إلى الجنة، ومن أعظم صور الجبر، أن تستر على من أخطأ وهو نادم، وأن تعتذر بصدق إذا جرحت دون قصد، وأن ترمم الجسور بدل أن تهدمها بعبارات الغضب أو التكبر، وجبر النفوس ليس ضعفاً، بل قوة من نور، وهو دليل التواضع لا الهوان، وهو عنوان الوعي لا الانكسار.

فيا أيها الإنسان: كُن يداً خفيفة على الأرواح، كُن صدًى طيباً في ذاكرة الناس، كُن قلباً يُرمم قبل أن يحكم، فجبر القلوب يُفتح لك به أبواب لا يطررها الذكاء، ولا المال، ولا السلطان.

وصلى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً..

الباب الثالث : المقال الخامس : (الإنصاف : مرآة التقوى وتاج الأخلاق)

الإنصاف هو جوهر العدل ولُبُّ الأخلاق، وهو قيمة سامية تجعل الإنسان يتجاوزُ الهوى والمصالح الشخصية ليقفَ على ميزانِ الحقِ بكل شفافية ونزاهة. قال تعالى "ولا يجرمنكم شنآن قومٍ على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى" [سورة المائدة: ٨]. والإنصاف يتطلبُ من الإنسان أن يكونَ عادلاً حتى مع من يختلفُ معه أو حتى من يظلمه، وأن تحكمَ بميزانِ الحقِ بعيداً عن الأحكامِ المسبقة، وأن تضعَ نفسك مكان الآخرِ لفهمِ موقفه وحقه.

والإنصاف ليس مجردَ قانونٍ يطبَّق، بل هو شعورٌ داخلي بالعدلِ ينبُع من ضميرٍ حيٍّ، ومن نورٍ إيماني يدفعُ الإنسانَ للحقِّ مهما كان الثمن. وفي التصوف، يُعتبرُ الإنصافُ فضيلةً لا يتصفُ بها إلا أولي القلوب، لأنَّ القلوبَ المتعبةَ بالجفاء لا تملكُ القدرةَ على الحكمِ بالعدلِ الكامل. وقد قال الشيخ عبد الكريم الكسنزان قُدس سره "الإنصاف تاج على رؤوس العادلين، ومن فقدَه فقد نور الحق في قلبه." والإنصاف ينعكس في أفعالنا اليومية، في معاملتنا مع الأهل والأصدقاء، في القضايا العادلة، وفي الحقائق التي نؤمن بها، وهو ما يجعل المجتمع يزدهر ويستقر، وينطلق نحو السلام والازدهار، وليس الإنصاف فقط للأقوياء أو الحكماء، بل هو مدرسة لكل إنسان يريد أن يرتقي بأخلاقه ويرتبط بالله حقاً.

وصلى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا..

الباب الثالث: المقال السادس: (القيم الإنسانية لغة القلوب التي لا تموت)

القيم الإنسانية ليست مجرد مفردات نردها، أو شعارات نكتبها على الجدران، بل هي الأنفاس التي تحرك الروح، والنور الذي يضيء مسير الإنسان في حياته. وهي الرحمة التي تمد يدها للآخر، والصدق الذي يشرق في القلب واللسان، والتواضع الذي يزين النفوس، والعدل الذي يزن العلاقات، والكرم الذي يفتح الأبواب، والمروءة التي تحفظ الكرامة، وفي عالم يختلط فيه الضباب ويتداخل، تبقى القيم هي المحور الثابت، والمرساة التي لا تغرق، والنبأ الذي لا ينطفئ.

وهذه القيم التي تعلمناها من القرآن الكريم، ومن أحاديث النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، ومن حياة الأولياء والصالحين، ومن تجارب الشعوب التي صمدت أمام العواصف، وفي الطريقة الكسنزانية، كما علمنا مشايخ الطريقة الكسنزانية قدست اسرارهم، تولى القيم أولوية في تربية الإنسان، فترسخ الرحمة قبل العلم، والصدق قبل العبادة، والإيثار قبل الطموح، وإنها تنسج من القيم نسيجاً روحياً واجتماعياً متكاملًا، يجعل من الإنسان إنساناً بحق، ومن المجتمع مجتمعاً متحاباً، ومن التاريخ صفحة مشرقة، وحين تنمو القيم في القلوب، يزدهر الإنسان في كل المجالات الصحية، الاجتماعية، الثقافية، الاقتصادية، والسياسية، وتصبح المجتمعات منارات للنور والسلام، تفتح أبوابها لكل طيب نية، وهكذا، تصبح القيم لغة القلوب التي لا تموت، ورسالة السلام التي تُبنى بها الحضارات، وسبيل النجاة الذي لا يضل عنه من توكل.

وصلى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى
آله وصحبه وسلم تسليماً..

الباب الرابع: الاقتصاد والعدالة والكرامة

(الكرامة الإنسانية تتحقق بالعدالة الاقتصادية، والعدالة الاقتصادية تتحقق
بالاقتصاد الرشيد)

الباب الرابع: المقال الأول: (المال وسيلة لا غاية)

في عالم تتسارع فيه الخطى نحو الاستهلاك، وتُقاس فيه القيمة غالبًا بما يملك لا بما يُعطى، يصبح الحديث عن المال كوسيلة لا غاية دعوة لإعادة التوازن بين الروح والمادة، بين السعي المشروع، والغاية النبيلة، بين الاحتياج والافتتان.

المال في المفهوم الصوفي، وبخاصة في المدرسة الكسنزانية، ليس شراً في ذاته، ولا عائقاً عن السير إلى الله، بل هو أداة وُضعت في يد الإنسان ليُمْتَحَنَ بها، ويُكْرَمَ من خلالها، إنْ هو أحسنَ توجيهها، وربطها بقصد أعلى من مُتَعِ الدنيا. والسيد الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان القادري الحسيني قدّست أسرارهِ يقول "المال إذا صار في القلب أضلّ، وإذا استقرّ في اليد صار وسيلة للخير، وما في اليد لا يفسدُ الروحَ إذا طُهرت النية."

وهذه الرؤية تعيد الاعتبار للنية، فهي الفيصل بين المال كوسيلة لبناء النفس والمجتمع، وبين المال كوثنٍ جديدٍ تنهاوى عنده القيم، وتُسحق فيه الأرواح، القرآن الكريم لم يُحرّم المال، بل وصفه بأنه "خير" في مواضع، ولكن مع التحذير الدقيق من أن يتحول إلى غاية، كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ * وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ

لَشَدِيدٌ» (العاديات: ٦-٨). فالآية تشير إلى أن "الخير" هنا هو المال، وأن حبه إذا اشتدّ دون ضابط، أصبح شاهد على نكران النعم، وبُعد عن المعنى الحقيقي للعبودية، وفي التصوف الكسنزاني، يُربى المريد على أن يكون المال في يده وجيبه، لا في قلبه، وأن يكون السعي في طلب المال غايته الخدمة، لا التفاخر. وأن تُوزن النفقات بميزان الحكمة، لا بميزان الشهوة أو الرياء. بل إن بعض الأوراد في الطريقة تُخصّص لتعزيز النية في كسب الحلال، وتنقية القلب من تعلّق الدنيا، كما أشار الإمام علي عليه السلام إلى هذا المفهوم العميق حين قال "الغنى غنى النفس، لا غنى المال" (نهج البلاغة، الحكمة رقم ٥٧) والمال قد يُبني به مسجد أو تكية، ويُطعم به فقير، ويُكفل به يتيم، وقد يُشترى به السلاح أيضًا، أو يُداس به الفقراء، أو يُشترى به الضمير، والفرق بين الحالتين ليس في المال ذاته، بل في الغاية، وفي القلب الذي يتحكم فيه، ويحذر الإمام الغزالي من التعلق بالمال فيقول "لو أن القلوب طهرت، لما شبت من كلام الله، ولو أن الأرواح علت، ما التفتت إلى زخارف الدنيا" (الإحياء، ج ٣، باب حب الدنيا). وإن الفلسفة الروحية في التصوف الكسنزاني لا ترفض الدنيا، ولا تدعو إلى الانعزال، لكنها تؤمن بأن المال امتحان، والنية ميزان، والغاية من كسبه هي الخروج من الحاجة، وخدمة الخلق، والتفرغ للحق، ولهذا يُربى السالك في الطريقة الكسنزانية على كسب الحلال الطيب، وتجنّب الشبهات وعدم المباشرة بالمال أو ربط قيمته به، وتقديم الصدقة والزكاة بخفاء وقصد خالص خدمة الفقراء والمحتاجين كجزء من السلوك الروحي، وإدراك أن المال سيُسأل عنه مرتين: من أين اكتسبه؟ وفيما أنفقه؟ وقد ورد في الحديث الشريف لسيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع، منها وماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه" (رواه الترمذي).

وفي نهاية المطاف، المال في الفهم الكسنزاني هو وسيلة تُستخدم، لا غاية تُعبد، وسيلة تُعطيك القدرة على أن ترفع عن الناس آلامهم، لا أن ترفع

نفسك عليهم، وسيلة لتقرب بها إلى الله، لا لتبتعد عنه، وسيلة لكرامة الإنسان، لا لاحتقاره، وسيلة لبناء المجتمع، لا لشرذمته، ومن اختار المال وسيلة، طُهرت يده، واستنارت روحه، وازدهرت مجتمعاته، ومن جعله غاية، ضلّت قدمه، وأظلم قلبه، وفسدت علاقته بنفسه وخالقه والناس.

وصلّى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً..

الباب الرابع: المقال الثاني: (التجارةُ برؤيةٍ أخلاقية)

في عالمٍ تتصارعُ فيه المصالحُ، وتتقاطعُ فيه الأهواءُ على مذابحِ السوقِ المفتوحِ، تبقى التجارةُ من أقدمِ ميادينِ الاختبارِ الأخلاقي في حياةِ الإنسان. فمنذُ أن تبادلَ البشرُ حاجاتهم في الأسواقِ الأولى تحت ظلالِ النخيلِ والبيوتِ الطينية، ظلَّ التاجرُ يُرى مرآةً لضميره، وصدىً لسلوكِ مجتمعه، ومقياسًا لقيمهِ الداخلية، لا لمجردِ بضاعته. وليست التجارةُ - في جوهرها - مجردَ تبادلٍ سلعي أو تراكمِ أرباح، بل هي علاقةٌ، تبدأ من النية، وتُبنى على الثقة، وتُدارُ بالحكمة، وتنمو بالرحمة، وإنَّ الإنسانَ الذي يدخلُ السوقَ، إنما يدخلُ ساحةَ امتحانٍ للقلبِ والنيةِ والسلوكِ، لأنَّه سيكونُ في مواجهةٍ دائمةٍ مع إغراءاتِ الربحِ السريعِ، ومزالقِ الغشِ، ووساوسِ التزييفِ، وحرارةِ التنافسِ. والرؤيةُ الأخلاقيةُ للتجارةِ ليست طارئةً على الفكرِ البشري، بل هي متجذرةٌ في كلِّ الشرائعِ والحكمِ القديمة، لكنها في التصوف، وبخاصة في الطريقة الكسنزانية، تأخذ بعدًا روحيًا رفيعًا، إذ لا يُنظرُ إلى التاجر على أنه صاحب سلعة، بل هو صاحب أمانة. يُحاسبُ على الميزان، وعلى الكلمة، وعلى النية التي خاض بها البيع، وعلى الأثر الذي يتركه فعله في قلوب الناس، وقد ورد في الحديث الشريف قول سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم "التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء"، وهذا مقام لا يُمنح لمجرد أرباح، بل لسلوكٍ متين، وضميرٍ يقظ، وتعاملٍ يزرع الثقة لا الريبة، فالتاجر الصادق ليس هو الذي لا يخطئ، بل الذي يخشى الله في كل بيع وشراء، ويرى كل زبون مرآةً للحق، لا فريسةً للمكسب، والتجارة برؤية أخلاقية، تعني أن يبيع الإنسان ما ينفع لا ما يُفتن، أن لا يخدع في

المواصفات، وأن لا يستغل حاجة، وأن لا يُطفف الميزان، وأن لا يجعل من الربح مبررًا للظلم أو التضليل أو الاحتكار، وهي أن يربح دون أن يخسر إنسانيته، وأن يزدهر دون أن يترك خلفه أناسًا محطمين، أو قلوبًا مغشوشة.. ولأن الطريقة الكسنزانية تعلّم السالك أن يكون نقي القلب، نقي اليد، نقي المعاملة، فإن التاجر الكسنزاني يُطلب منه أن يكون قدوة، لا فقط في المحراب، بل في السوق أيضًا، وأن يحمل روحه إلى السوق كما يحملها إلى الصلاة، فيُسَبِّح بصدقه، ويُقيم الصلاة في بيع لا يلهيه عن الذكر، ولا يصرفه عن الإنصاف، وإن التجارة التي تقوم على الأخلاق تصنع ازدهارًا لا يفسد المجتمع، ورخاءً لا يُطفئ الرحمة، وسوقًا لا يسحق الضعفاء. فكما أن المال وسيلة، كذلك التجارة أداة تُستخدم لعمارة الأرض بالعدل، لا لتخريب القلوب بالجشع.

وإن الروح حين تسكن في البيع، تصير التجارة عبادة، والنية الطيبة حين تسبق المكيال، يصير الميزان نورًا. وكل يد تمتد بالرحمة، تفتح لها السماء أبواب البركة، وتُبارك لها الأرض بما كسبت، وهكذا نرتقي من تاجر يطلب الربح، إلى إنسان يُرضي الرب، وهكذا تبقى الأخلاق تاج التجارة، والصدق فيها أعظم رأسمال.

وصلّى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا..

الباب الرابع: المقال الثالث: (العدالة الاجتماعية والاقتصادية)

هي الحُلُم الذي راودَ البشرية منذ فجر التاريخ، وهي غايةٌ تسعى إليها المجتمعاتُ الحية، تلك التي تنبضُ بالضمير وتستندُ إلى قيمِ الروح والحق والخير. هي ليست مجردَ مصطلحٍ يتكررُ في المؤتمراتِ أو شعارٍ يُرفعُ في الحملاتِ الانتخابية، بل هي جوهرُ الوجودِ الإنساني حين يتحررُ من جشعِ الأنانية وعبودية المالِ ويتجهُ إلى بناءِ عالمٍ أكثرَ توازنًا ورحمةً، عالمٍ يتقاسمُ فيه الناسُ خيراتَ الأرضِ بعدلٍ ومحبة.

وفي التجربةِ الروحية، تُفهمُ العدالةُ على أنها توازنٌ داخلي يسبقُ التوازنَ الخارجي. فالفردُ الذي لم يحققِ العدالةَ في نفسه، بين روحه وجسده، بين حاجاته المادية وتطلعاته المعنوية، لا يمكنه أن يكون فاعلاً في صناعة عدالة أوسع. ومن هنا تبدأ الرحلةُ من الداخل، حيث تنزكي النفسُ من الأثرة، وتتحررُ من تعلقها بالمكاسبِ الزائلة، لتدركَ أنَّ المالَ ليس سوى أداة، وأن الثروة الحقيقية هي الكرامة، والطمأنينة، والإيثار، والعدالة الاقتصادية لا تعني مساواة حسابية جامدة، بل تعني ضمان الكرامة لكل إنسان، وفتح الفرص أمام الجميع بلا تحييز ولا احتكار، إنها تعني أن لا يبيت إنسان جائعاً، في حين أن آخر يملك ما يزيد عن حاجته بأضعاف مضاعفة، وإنها تعني أن يكون التعليم والصحة والعمل والخدمات في متناول الجميع، وأن تكون الثروة وسيلة لرفعة الإنسان لا سبباً لذلته.

وفي السياق الاجتماعي، تتحقق العدالة حين يشعر الجميع بأنهم متساوون في الحقوق والواجبات، لا يُظلم أحد بسبب لونه، أو دينه، أو طبقته، أو جنسه. العدالة هنا ليست إلغاءً للفروق الطبيعية، بل اعترافاً بقيمة

الإنسان ككائن مكرّم، له حقه في العيش الكريم والمشاركة الفعّالة في بناء مجتمعه، وفي المنظور الصوفي العرفاني لا يفصل بين الروح والواقع، بل ينظر إلى العدالة كفيض من فيوضات النور الإلهي، تتجلّى في العلاقات، وفي الاقتصاد، وفي القانون، وفي السلطة، وفي السوق، وفي البيت، وفي كل جانب من حياة الناس. ويرى أن الظلم هو حجاب يحجب النور عن القلوب، وأن العدالة هي السبيل إلى الكشف، والارتقاء، والسكينة.

وكل الأنبياء جاءوا حاملين رسالة العدالة، لا بصيغها القانونية الشرعية فقط، بل بروحها الجوهرية التي تعيد التوازن للإنسان والمجتمع، وإن غياب العدالة هو خلل روحي قبل أن يكون اختلالاً سياسياً أو اقتصادياً. ولهذا، فإن العمل من أجل العدالة ليس نضالاً سياسياً فحسب، بل هو عبادة، هو سلوك في الطريق إلى الله، هو صلاة ممتدة في الأزقة والشوارع، في المعامل والمدارس، في المحاكم والمزارع، وفي كل موضع يصرخ فيه قلب مظلوم، وحين يغيب العدل، تتآكل الأوطان من الداخل، وتفسد الروابط، وتتفكك الأسر، ويعلو صوت الفتنة والكراهية، أما حين يسود العدل، فإن القلوب تهدأ، والمجتمعات تنمو، والإنسان يزهر، وإن العدالة ليست رفاهية تُمنح، بل هي حقٌّ يُنتزع، وواجبٌ يُمارس، وروحٌ تُبث في صميم السياسة والاقتصاد والتربية والثقافة.

ولقد آن الأوان أن تتحرر مفاهيمنا من قيد المصالح، وأن نعيد بناء العالم على قاعدة: "ولقد كرّمنا بني آدم". فإذا كان الله قد كرّم الإنسان، فهل يجوز أن نهينه بالفقر، أو نذلّه بالبطالة، أو نحجبه عن التعليم والصحة بسبب عجزه المادي؟ إن هذا التناقض بين القول والفعل هو ما يفسد القيم ويقتل الإيمان الحي في المجتمعات، والعدالة الاجتماعية والاقتصادية ليست مشروعاً مستقبلياً مؤجلاً، بل هي نداء الساعة، وواجب اللحظة، ومسؤولية كلّ حرٍّ، كلّ قلب لا يزال حيّاً، كلّ روح لا تزال ترى الله في الضعفاء والمظلومين، لا في القصور الفارهة والبنوك المتخمة، وإنها ليست خياراً من

ضمن خيارات، بل هي الجذر الذي تقوم عليه الإنسانية نفسها، فلتكن العدالة نورًا في طريقنا، لا مجرد قانون، بل خلقًا، لا مجرد نظام، بل روحًا تهب الحياة معناها، فقط حينها، يصبح الإنسان أخًا للإنسان، وتصبح الأرض أرض الله حقًا، لا مزرعة لقلّة ولا مقبرة للفقراء.

وصلّى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا .

الباب الرابع: المقال الرابع: (التنمية المستدامة للمجتمعات)

في عالم يضجُّ بالتغيرات المتسارعة والتحديات المتراكمة، تبرزُ التنمية المستدامة كخيار وجودي، لا مجرد مشروع تنموي، وإنَّها ليست فقط استراتيجية اقتصادية أو بيئية، بل فلسفة حياة تُعيدُ رسمَ العلاقة بين الإنسان وذاته، وبين الإنسان ومجتمعه، وبين الإنسان والكون. وإنَّ جوهر التنمية المستدامة، كما طرحه المنظمات العالمية مثل الأمم المتحدة (UN)، (١٩٨٧)، يتمثلُ في "تلبية احتياجات الحاضر دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها". ولكن حين ننظرُ إلى هذه الرؤية من زاوية روحية، نكتشفُ أنَّ هذه الصياغة ليست جديدةً، بل لها جذورٌ في تعاليم الأنبياء، وفي تراث الحكماء، وفي مناهج التصوف الذي يعمقُ وعي الإنسان بمكانته في منظومة الخلق.

والإنسان كخليفة: في البعد الروحي في التنمية له ميزانٌ معرفي كبيرٌ وواسعٌ، حيث جاء في القر... حيث جاء في القرآن الكريم قوله تعالى "وإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً" (البقرة: ٣٠) وهذه الخلافة ليست مجرد سلطة، بل مسؤولية كبرى، جوهرها الإعمار لا الاستهلاك، والرحمة لا الهيمنة، فالخليفة الحق لا يفسد في الأرض، بل يسعى لترسيخ ميزان العدل والرحمة والانسجام، وقد ربط الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بين الإنسان وعمارة الأرض حين قال "إن الله سبحانه خلق الخلق حين خلقهم غنياً عن طاعتهم، آمناً من معصيتهم، لأنه لا تضره معصية من عصاه، ولا تنفعه طاعة من أطاعه، فقسم بينهم معاشهم، ووضعهم من الدنيا مواضعهم، وبلاهم فيها بابتلاء ليلو أيهم أحسن عملاً" (نهج البلاغة).

والتنمية تزكية من الاقتصاد إلى الإحسان في بعدها الجوهري، وليست مجرد نمو اقتصادي، بل هي "تزكية" للمجتمع، أي تطهيره من الفساد والفقر والجهل والأنانية، وترقيته نحو الكرامة، والعدالة، والتكافل، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم مراراً قال تعالى "قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا" (الشمس: ٩-١٠). وفي ضوء هذه الرؤية، يصبح بناء المدارس والمستشفيات والبنى التحتية ليس فقط مشاريع مادية، بل أعمالاً روحانية سامية إن قصد بها خدمة الإنسان ورفعته.

والتصوف والتنمية طريق إلى التوازن حيث قدّم الفكر الصوفي العرفاني الكسرناني مفاتيح ثمينة لرؤية التنمية من منظور داخلي متكامل، حيث يُنظر للثروة كأمانة، وللطبيعة ككائن حي، وللإنسان كروح تسكن جسداً لا جسد يسكن روحاً، وفي هذا السياق، يقول الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي "الكون كله حي، ولا يكون الإنسان كاملاً إلا إذا رأى الله في كل شيء، وعرف نفسه أنه جزء من الكل" وإن التنمية المستدامة الروحية لا تقوم على السيطرة، بل على الانسجام مع نوااميس الكون. فالبينة ليست مادة خام للاستغلال، بل هي "آية" من آيات الله. والإسراف ليس تطوراً، بل خللاً في ميزان الوجود. قال تعالى "وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ" (الأعراف: ٣١). والتنمية المستدامة في المجتمعات علاقة متبادلة بين المجتمعات الحية وهي التي تدرك أن رفاهيتها مرتبط بوعيها، وأن نماءها لا يُقاس بالنتائج المحلي فقط، بل بمستوى السلام الروحي، والمساواة، والعدالة، والكرامة الإنسانية.

وتؤكد تقارير التنمية البشرية لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي (UNDP, ٢٠٢٢) على أن التنمية الحقيقية هي التي تضع الإنسان في قلب كل عملية، وتركّز على "تنمية القدرات"، لا فقط تكديس الثروات، ومن جهة أخرى، فإن المجتمعات الروحية كالمجتمعات المتأثرة بالطرق الصوفية - ومنها الطريقة القادرية الكسرنانية - تبنّت منذ زمن طويل مفاهيم التنمية الروحية المجتمعية،

حيث تمارس نشر العلم، والخدمة المجتمعية، ومساعدة الفقراء، دون انتظار مقابل، في نموذج تنموي شمولي، وهكذا أصبحت التنمية المستدامة رسالة وجود في ضوء كل ما سبق، ويمكن القول إن التنمية المستدامة ليست خطة اقتصادية، بل رسالة إنسانية روحية، إنها دعوة للتوازن بين المادة والروح، بين الفرد والمجتمع، بين الإنسان والطبيعة، وحين تُبنى السياسات العامة على هذه الرؤية المتكاملة، يتحول المجتمع إلى كيان حي نابض بالإحسان، لا مجرد كتلة إنتاجية، فالتنمية التي لا تُنبت في النفوس القيم، ولا تهذب في الأرواح الغرائز، ستؤول إلى دمار، وإن بدت ناجحة على الورق. أما التنمية الروحية المتزنة، فهي التي تثمر سلامًا داخليًا، وعمرانًا خارجيًا، وعدلاً شاملاً.

وصلّى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا..

الباب الرابع: المقال الخامس: (الاقتصاد الأخلاقي)

الاقتصاد الأخلاقي هو ذلك الاقتصاد الذي يتجاوز حدود الحسابات المجردة للربح والخسارة، ويتجذر في ضمير الإنسان، ويتصل بروحه، ويستنير بأنوار الأخلاق والرحمة، ويسترشد بنور الحقيقة، لا بضوء السوق وحده وهو اقتصاد يرى المال وسيلة لا غاية، ويجعل من المعاملة مرآة للإيمان، ومن التجارة سلوكاً روحياً، لا مجرد تبادل للمنافع.

وفي التصور الصوفي العرفاني، وتحديدًا في المدرسة الكسنزانية التي جمعت بين الحقيقة والشرعية والطريقة، لا يفصل بين الاقتصاد والروح. فالتصوف الكسنزاني يرى أن العالم قائم على ميزان، وأن هذا الميزان مظهر من مظاهر "العدل الإلهي" الذي تتفرغ عنه العدالة الاجتماعية والاقتصادية. وعليه فإن أي خلل في هذا الميزان، سواء بجشع التاجر أو باستغلال العامل أو باحتكار القوي للضعيف، إنما هو إخلال بروح الكون، نقض للعهد مع الله، وقد جاء في الحديث الشريف لسيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم "التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء" (رواه الترمذي)، وهو نص عظيم يدل على أن العمل الاقتصادي، حين يؤدي بأمانة وصدق، يسمو إلى مراتب العارفين بالله، وهذا عين ما تدعو إليه الرؤية الكسنزانية، التي تؤمن أن كل حرفة، وكل مهنة، وكل تجارة، إن نُظمت بنية خالصة وسلوكٍ مستقيم، فهي طريق إلى الله، وفي القرآن الكريم، نجد إشارات واضحة إلى الاقتصاد الأخلاقي، منها قوله تعالى ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ (الأنعام: ١٥٢)، وقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ (المطففين: ١). وهذا يدل على أن القسط والعدل والوفاء في المعاملة ليست

فقط أخلاقيات، بل عبادات، لأن من يطفف في الميزان لا يخلّ بحق الناس فقط، بل يسيء الأدب مع الله.

ولقد عبّر العارفون بالله عن رؤيتهم للاقتصاد بأنه مجال من مجالات التزكية، وميدان لامتحان النفس، فكل درهم يدخل إلى الإنسان دون حق، هو حجاب على قلبه، وكل لقمة فيها شبهة، هي حائل بينه وبين نور الذكر، ولذلك، كان التصوف الحق وخصوصاً المنهج الكسنزاني يرى أن البركة في القليل الحلال، لا في الكثير المشوب بالشبهات. ويقول الشيخ عبد القادر الكسنزان قدس الله سره في وصاياه "اجعل رزقك وسيلةً لخدمة الحق، لا حجاباً بينك وبينه، واطلب البركة لا الكثرة، فإن البركة سرّ من أسرار الرضا". وفي ضوء هذا المنهج، يصبح المال أداة لبناء مجتمع متراحم، متعاون، تزول فيه الفروق الجائرة، وتُحترم فيه كرامة الإنسان، ويعلو فيه العطاء على الأخذ، وتُغذى الأرواح كما تُغذى الأجساد، ومن هنا تأتي أهمية "الاقتصاد التراحمي" الذي طرحه بعض المفكرين المعاصرين منهم السيد الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان القادري الحسيني قدست اسراره، الذي دعا إلى اقتصاد يقوم على "العطاء" بدلاً من "الاستحواذ"، وعلى "الرحمة" بدلاً من "المنافسة المفترسة" وكذلك هو رأي الدكتور طه عبد الرحمن (انظر: الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٢).

وفي التجربة الكسنزانية، هناك تركيز دائم على "النية" و"الطهارة الداخلية" في العمل والكسب، لأن المال الذي لا يحمل طاقة الرحمة يُفسد القلب ويجفف الروح، ومن أقوال أهل الطريقة "كل عمل لا يُراد به وجه الله، فهو صنم، وإن كثر نفعه". وهذا يعيدنا إلى فلسفة الاقتصاد الأخلاقي التي ترى أن الغاية هي التقرب إلى الحق تعالى، من خلال المعاملة الحسنة، والإحسان، والصدق، والعدل، والإيثار، ونبذ الاستغلال، وفي سياق العرفان الكسنزاني، يُنظر إلى العامل والتاجر والمزارع وكل من يكّد على عياله، باعتباره مجاهداً في سبيل الله، إن طاب كسبه، وحُسنت نيته، واستقامت

معاملته، وهنا يُصبح الاقتصاد مجالاً من مجالات التربية الروحية، حيث يُربى المرء على القناعة، والتوكل، وحسن الظن بالله، وعدم التعلق بما في أيدي الناس، وإن الاقتصاد الأخلاقي الكسنزاني ليس نظرية مثالية طوباوية، بل دعوة عملية لأن يُربط السوق بالمحراب، والعمل بالمقصد، والكسب بالضمير، والتجارة بالإيمان. وهو طريق يحتاج إلى مجاهدة النفس، والسمو بالنية، والوفاء بالعهد، لأن الله تعالى يقول ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٤).

وختاماً، فإن الاقتصاد، كما يراه أهل التصوف والعرفان، لا يكتمل إلا إذا انعكس في سلام داخلي، وعلاقات إنسانية راقية، وفي سعي دائم لأن يُرضي الإنسان ربّه من خلال لقمة حلال، وسلوك جميل، ويدٍ معطاءة، وقلبٍ نقي، وتجارةٍ لا تبور.

وصلّى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا .

الباب الرابع: المقال السادس: (تنمية المبادرات المجتمعية)

إنّ تنمية المبادرات المجتمعية ليست فعلاً خارجياً عابراً، بل هي ارتقاء داخلي، واستجابة لنداء يسكن في أعماق الروح، إنّها ليست مجرد فعل، بل تجلّ من تجليات الحب الإلهي في النفس، حين تشعر أنّ الحياة لا تُعاش إلا حين تُعاش للآخرين، وحين تدرك أنّ وجودك في هذا العالم ليس عبثاً، بل مسؤولية، ورحلة من العطاء. قال تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢]، فكل مبادرة خيرة إنّما هي تعاونٌ روحيّ على إصلاح الحياة وترقيتها. وفي درب السلوك الصوفي، لا تنبت المبادرة من الطمع بالثناء، بل من صفاء القلب، ومن يقظة الضمير، وحين تزكو النفس وتهذب في الخلوة، حين تُصقل بالمراقبة والمجاهدة، لا ترى العالم ساحة تنافس، بل كحضنٍ واحد، كبيتٍ مشترك، كمرآة تنعكس فيها حاجات الآخرين في أعماقها، وحين تصل الروح إلى هذا الصفاء، حينها لا تكون المبادرة خياراً، بل فريضة داخلية. كما قال رسول الله سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم "من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم" [رواه الطبراني]، فكيف بمن يهتم بالناس بروحه ولسانه؟ وكل مبادرة تنبع من النية، والنية الصادقة نور، فإن خلصت، أنبت خيراً لا يُحصى، والمبادرة ليست مؤسسة ولا شعاراً، بل أن تُعطي وأنت قادر على أن لا تعطي، أن تبادر حين ينام الجميع، أن تحمل همّ غيرك كأنه همّك، وأن ترى في وجع الآخرين جرحك الخاص، قال سيدنا علي عليه السلام "الناس صنفان، إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق"، ومن فهم هذا الفهم، بادر لا رياءً، بل لأن قلبه لا يحتمل التجاهل، وما أجمل أن تصبح المبادرة عادة، أن تُروى للطفل كما تُروى الحكايات، أن تصبح

نمط حياة، لا موسمية ولا ردة فعل، والمجتمع لا يُبنى بالإسمنت، بل بالمحبة، ولا يرتقي بالكلام، بل بالفعل، ولا ينهض بالقوة، بل بالرحمة، قال رسول الله سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم "لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجهٍ طلق" [رواه مسلم]، فالمبادرة ليست بحجمها، بل بجوهرها، وعمق أثرها.

وفي الطريق الكسنزاني، يُعلّمك الشيخ أن كل مبادرة هي ذكر، كل إحسان هو قرب، كل عطاء هو صلاة، أن تمد يدك لأخيك في الله، لا لأنك الأقوى، بل لأنك الأقرب، وأن تفتح قلبك لا جييك فقط، أن تنظر للمجتمع بغير منظار المصلحة، بل ببصيرة المحبة، والمبادرة في نهج الكسنزان ليست وظيفة، بل حالٌ روحي، تُلهمها الأرواح المتصلة، وتُغذيها النوايا النقية، كما قال الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس سره: "كن للخلق كالأرض يطؤونك، وكالسماء تظللهم، وكالبحر تغمرهم".

وما أعمق قول الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان القادري الحسيني قدست اسراره حين قال "كل مبادرة لا تخرج من المحبة هي لعبة ego مغلفة بخير مزيف، اجعلوا قلوبكم فاعلة، فهي أقوى من ألف مشروع بلا روح". إنها دعوة لصدق المبادرة، لروحانية الفعل، لتحرير العمل المجتمعي من مظاهر الرياء والزييف إلى عمق الإخلاص والصفاء، وحين تُطلق المبادرات من هذا النبع، تصبح الحياة سعيًا نحو الله من خلال الناس، ويصبح كل عملٍ صالحٍ مرآةً للذكر، وكل مشروعٍ جماعيٍّ حلقة من حلقات السلوك. قال تعالى في الحديث القدسي: "يا ابن آدم، مرضت فلم تعدني... جعت فلم تطعمني..." [رواه مسلم]، فإن الله يتجلى في الضعفاء، في المحتاجين، في المظلومين، وكل من بادر إليهم، فقد بادر إلى الله، ولسنا بحاجة إلى صالات فخمة، بل إلى نوايا طاهرة، ولسنا بحاجة إلى ضوء الكاميرات، بل إلى نور القلب. لسنا بحاجة إلى عدد، بل إلى عمق، وتنمية المبادرات لا تعني مشاريع ضخمة، بل تعني إشعال شمعة في الظلمة، وضع

يد على كتف من انكسر، زراعة شجرة في أرض قاحلة، همسة حنان في أذن يتيم، أو نظرة رحمة في عين مسكين، وهكذا تنمو المجتمعات في الرؤية الصوفية الكسزانية، لا بالقوانين وحدها، بل بفيض الحب، بصدق الحضور، بعمق الإيمان بأن الله معك حين تكون مع عباده، والمبادرة المجتمعية لا تُقاس بما أنجز، بل بما أنقذ من ظلمة، وبما أحيى من روح، فمن زكى نفسه، بادر. ومن بادر من قلبه، اقترب. ومن اقترب، فاز بالقرب، وتجلّى فيه النور. وصلى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً..

الباب الخامس: الفكر والإعلام واللغة

(حين يرتقي الفكر، يتطهر الإعلام، وتسمو اللغة، فتصبح الكلمة جسراً للوعي، لا سلاحاً للفرقة، ويغدو الإعلام صوتاً للضمير، لا صدىً للضحيج)

الباب الخامس: المقال الأول: (وسائل التواصل الاجتماعي وتأثيرها الأخلاقي)

في عصرٍ أصبح فيه الهاتفُ المحمولُ امتداداً لليدِ، وأصبحت فيه الشاشاتُ الصغيرةُ نوافذَ تطلُّ على العالمِ بأسره، باتت وسائلُ التواصل الاجتماعي قوةً هائلةً، تُشكِّلُ الرأي، وتبني أو تهدمُ العلاقات، وتؤثرُ في الضميرِ الجمعيِّ للأمم. وهذه الوسائلُ، في أصلها، أدواتٌ، لكنها في الاستخدام، تتحوَّلُ إلى اختبارٍ أخلاقيٍّ وروحيٍّ يومي لكل فردٍ، والكلمة فيها لا تضيعُ، والصورة لا تُنسى، والنوايا تتجلَّى ولو خلفَ الأقنعة الرقمية، وإنها مرآةٌ خفيةٌ، تكشفُ ما في القلوبِ بقدرِ ما تُظهرُ من الحروف. والقرآن الكريم وضعَ قاعدةً عظيمةً تُضبطُ بها الكلمات مهما اختلفت وسيلةُ إيصالها، فقال الله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق: ١٨)، فكل كلمة تُكتب أو تُشارك أو تُعلَّق، هي محسوبةٌ، مشهودةٌ، ومكتوبةٌ، ومحمولةٌ على نيةٍ صاحبها، ووسائل التواصل الاجتماعي لم تلغِ هذه القاعدة، بل ضاعفت أثرها، فالكلمة التي كانت تُقال لمجموعة صغيرة، أصبحت اليوم تُقال أمام الآلاف، وربما ملايين، في لحظة واحدة، وفي أحاديث الحبيب المصطفى

سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، نجد إشارة دقيقة لهذا المعنى، إذ قال: "مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت" (رواه البخاري). هذه القاعدة النبوية لا تنتمي إلى زمن ما قبل التكنولوجيا فقط، بل هي روح تصلح لكل العصور، بل لعلها اليوم أوجب وأدق، لأن النشر أصبح فوراً، والكلمة لا يمكن سحبها، والصورة لا يمكن نسيانها، من هنا كان لزاماً أن يُحكّم الإنسان قلبه قبل إصبعه، وضميره قبل تعليقه.

وفي التصوف، وبخاصة في المدرسة الكسنزانية، الكلمة ليست أداة تواصل فقط، بل طاقة، تُخرج ما في النفس إلى الوجود. ولهذا فإن الكلمة عند أهل الطريق تُعدّ عبادة إن صدرت من نية طاهرة، وتُعدّ ظلمًا إن خرجت من غلّ أو كبر أو رياء، قال السيد الشيخ شمس الدين الكسنزان قدس سره "اللسان هو مرآة القلب، فإن صلح القلب طابت الكلمة، وإن خُبث القلب كانت الكلمة سهماً قاتلاً" (من مجالس الطريقة الكسنزانية). في هذا المعنى، تصبح وسائل التواصل اختباراً دائماً للنية والسلوك، فإن استخدمها الإنسان في الخير، وفي نشر الرحمة، وفي الدفاع عن المظلوم، وفي إحياء الأمل، كان مأجوراً، بل داعية بحق، وإن استخدمها للشتم، أو الإشاعات، أو السخرية، أو التهجم، فهو لا يكتب فقط حروفاً، بل يُدخل في ميزانه وزراً.

ومن مظاهر الفوضى الأخلاقية في فضاء التواصل اليوم أن الناس يظنون أن ما يكتب خلف الشاشة لا يُحاسب عليه، وكأن الأخلاق لا تُطبّق إلا في اللقاء المباشر، بينما الحقيقة أن الله سبحانه وتعالى قال ﴿وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ (الصافات: ٢٤)، ولم يخص الوسائل أو الوسائط، فالسؤال قادم لا محالة. وكذلك قوله تعالى ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٦)، أي أن العقل الذي يفكر، والقلب الذي ينوي، والعين التي ترى، كلّها تدخل في الحساب، ومن هنا تبرز الحاجة إلى أخلاق رقمية، أو ما يمكن تسميته في سياقنا الروحي: سلوك رقمي عرفاني. وهذا يعني أن يكون للإنسان ميثاق داخلي يضبط حضوره على الإنترنت، كما

يضبط حضوره في المسجد أو في مجلس ذكر في التكية، ولا يُسهم في نشر الفتنة، ولا يُضحك على حساب أعراض الناس، ولا يتاجر بالصورة والكلمة بحثًا عن إعجاب عابر، بل يكون لسانه رطبًا بالصدق، وعينه رقيقة على نيته، ويده لا تضغط إلا على ما يُرضي الله، ويفتح باب خير، والكلمة في وسائل التواصل أصبحت سلاحًا مزدوجًا، إما أن تُصلح بها النفوس، أو تجرح بها الأرواح. والصورة إما أن تبني الوعي أو تهدم القيم. والصمت فيها أحيانًا أبلغ من الكلام. ولهذا قال الإمام علي عليه السلام: "الكلمة أسيرة في فمك، فإذا خرجت صرت أسيرها" (نهج البلاغة). وكل ما يُكتب ويُقال، سيعود إلى صاحبه، إما نورًا في ميزانه، أو غمًا في قلبه.

وعلى أن نستخدم هذه الوسائل كمنبر للرحمة، لا ساحة صراع، بيت للذكر افتراضي نُسَبِّح فيه بالقيم، لا مكان للشتم والتهكم، وعلى أن نُعيد للغة قدسيّتها، وللأدب وزنه، وللنوايا مكانتها. فوسائل التواصل في جوهرها وسيلة، لكن روحنا هي التي تقرر: هل نجعلها سلّمًا للنور، أم هاوية من الغفلة.

وصلّى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا..

الباب الخامس: المقال الثاني: (الإعلامُ وصناعةُ الرأي)

الإعلامُ هو النافذةُ التي يطلُّ منها الإنسانُ على العالمِ، وهو الجسرُ الذي يربطُ العقولَ والقلوبَ بالحقائقِ، ويصوغُ في وعيِ المجتمعاتِ تصوراتها عن الحياةِ والواقعِ والمستقبلِ. وفي الوقتِ الحاضرِ لم يعد الإعلامُ مجردَ وسيلةٍ إخباريةٍ، بل أصبحَ قوةً فاعلةً تشكّلُ الرأيَ العامَ وتوجّهه، بل وتبني الإنسانَ أو تهدمه، تبعثُ فيه الأملَ أو تثبّت فيه اليأسَ، ترفعُ من شأنِ القيمِ أو تفرغها من معناها. ولقد بيّنت الدراساتُ الحديثةُ أنَّ الإعلامَ هو من أبرزِ المؤثراتِ في صناعةِ القنواتِ لدى الأفرادِ، وخصوصاً مع التطورِ الرقمي، حيث تجاوزَ دوره التقليدي ليصبحَ تفاعلياً مباشراً مع الجمهورِ، فالناسُ اليومَ يتلقونَ المعلومةَ، ويشاركونها، ويعلّقونَ عليها، ما يجعلهم جزءاً من ديناميكيةِ صناعةِ الرأي، لا مجردَ مستقبلينَ سلبيين.

ومن هنا تأتي المسؤوليةُ الكبرى على الإعلامي، بل على كل من يُسهم بكلمة أو صورة أو مقطع في هذا الفضاءِ الرحب، وإن خطورة الإعلام تكمن في قدرته على التأثير غير المباشر، فهو لا يفرض رأياً بقدر ما يوحي به، ولا يوجه بشكل فجّ، بل يُلبس الأفكار ثوب العفوية والتلقائية حتى تستقرّ في العقل والوجدان دون مقاومة، وقد ثبت في دراسة نُشرت في مجلة Journal of Communication أن التعرض المستمر لمضامين إعلامية موجهة يؤدي إلى تغيّر تدريجي في مواقف المتلقي، حتى لو لم يكن يعي هذا التأثير، ولكن الإعلام ليس شراً محضاً، بل هو أداة ذات وجهين، يمكن أن تكون وسيلة نور وإصلاح، أو وسيلة فتنة وتضليل. حين يكون الإعلام صادقاً، نزيهاً، ملتزماً برسالة إنسانية وأخلاقية، يصبح صوتاً للحقيقة، ومرآة لآلام

الناس وآمالهم، ومحركًا للتنمية والإصلاح بل يمكن القول إنه حين يتصل بالروح والقيم، يصبح الإعلام عبادة، لأنه ينشر النور، ويزرع الخير، ويجمع القلوب على المحبة والوعي والسلام، والتاريخ مليء بشواهد على الدور النبيل للإعلام في التغيير الإيجابي، ففي لحظات الأزمات الكبرى، كانت الكلمة الطيبة والإعلام الصادق هما البلسم الذي شدَّ عزائم الناس، ووحد صفوفهم. وفي لحظات التحول السياسي والفكري، لعب الإعلام دورًا مصيريًا في رفع الوعي الشعبي، والدفع نحو الكرامة والعدالة والحرية، ومن هنا، لا بد أن نعيد الاعتبار للإعلام كقيمة روحية، لا كوسيلة ربح أو صراع، والإعلام الذي يخرج من قلب الإنسان، ويدخل إلى قلوب الآخرين، هو الإعلام الأصدق والأبقى أثرًا، وما أحوجنا اليوم إلى هذا النمط النقي من الإعلام، الذي يزرع الحكمة، ويهذب الذوق، ويمنح المستمع والمشاهد جرعة من الطمأنينة في عالم يضج بالضجيج والتشويش، وفي الختام، إن الإعلام الحقيقي لا يصنع الرأي فقط، بل يصنع الإنسان ذاته، يصنع وعيه، ومسؤوليته، ونظرتة إلى الحياة، والإعلام الذي لا يخاطب في الإنسان روحه، لا يمكن أن يبنى رأيًا ناضجًا، ولا مجتمعًا مستقرًا، فلنحرص أن تكون كلماتنا جسورًا للسلام، وأصواتنا أنفاسًا من نور، وإعلامنا طريقًا نحو إنسان أرقى، وأمة أصدق.

وصلى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا..

الباب الخامس: المقال الثالث: (الذكاء الاصطناعي بين النعمة والنقمة)

الذكاء الاصطناعي كائن نازل من رحم الحلم الإنساني، يخطو بيننا اليوم بثقة تشبه ثقة رجل يحمل رسالة، أو وحش يخفي مخالبه تحت معطف من الأمل، وهو الوجه المزدوج للحدثة، حيث تتقاطع فيه النعمة بالنقمة، والنور بالظل، والحكمة بالخطر. قد يراه البعض تطوراً طبيعياً لمسار العقل البشري، وقد يراه آخرون تهديداً وجودياً، لكنه في جوهره مرآة تعكس نوايانا، ومالاتنا، وأحلامنا المكتظة بالمعنى والخوف. وفي مستشفيات العالم، لا سيما في تجارب مثل مشروع DeepMind من Google، أصبح الذكاء الاصطناعي قادراً على اكتشاف أمراض العيون والسرطان بدقة تفوق البشر، وفقاً لدراسة نشرتها مجلة Nature عام ٢٠٢٠. هنا، هو النعمة التي تمس جسد الإنسان بلطف، وتزرع الأمل في قلوب أنهلكها الانتظار.

وفي التعليم، لم يعد الذكاء الاصطناعي أداة مساعدة فحسب، بل أصبح شريكاً في إنتاج المعرفة، كما في برامج مثل ChatGPT و Khanmigo التي تقدم دعماً مخصصاً للمتعلمين، تسألهم وتفكر معهم وتلهمهم، في تجلٍ لروحية العلم الذي يُراد له أن يُحرر لا أن يُرمج، ولكن، حين تنظر إلى الجانب الآخر، ترى عيناً حمراء تلمع في العتمة.

في مصانع القرار السياسي، تُستخدم خوارزميات الذكاء الاصطناعي في صناعة الرأي، وتوجيه العقول، وتضليل الجماهير، كما كشفت تقارير The Guardian و MIT Technology Review حول حملات التضليل عبر الذكاء الاصطناعي، وهنا، يتحول الذكاء الاصطناعي من مرشد إلى طاغية

ناعم، لا يرفع صوته، لكنه يسرق الإرادة، ويصنع قناعات مُفصلة بدقة تشبه خياطة الزيّ الأنيق، لكنها في العمق قيود مذهّبة.

والذكاء الاصطناعي ليس شريراً بطبعه، لكنه حساس للغاية لمصدره: الإنسان. إن طهر النية يخلق نظاماً يساهم في البناء، ويعيد توزيع الفرص، ويُحسن من جودة الحياة، لكن، حين يتسلل الطمع، وتُختطف القيم لصالح المال والقوة والسيطرة، يصبح الذكاء الاصطناعي السوط الذي يُجلد به الإنسان من حيث لا يدري، وهنا نعود لما قاله الفيلسوف الصوفي محيي الدين بن عربي: "الإنسان مرآة الحق"، والذكاء الاصطناعي مرآتنا نحن، يظهر ما فينا، يضخم ما نخفيه، ويفضح ما نُجمله، وهل يمكن للذكاء الاصطناعي أن يكون روحياً؟ نعم، حين يُستخدم في تأملات العقل الكبرى، في تيسير الحوارات بين الثقافات، في جمع شتات البشرية نحو المعنى الأعظم، نحو وحدة لا تلغي التعدد، بل تحتضنه، فبرمجيات الذكاء الاصطناعي بدأت تدخل حتى في التأمّلات الروحية الصوتية، كما في مشروع Mindar في اليابان، وهو روبوت بوذي يُلقي المواعظ الروحية ويؤمّ جلسات التأمل، مما يثير تساؤلات عميقة حول ماهية الروح، وحدود التقنية، ومعنى التقديس في عصر السيليكون، لكن، هل يمكنه أن يُحب؟ أن يُسامح؟ أن يشعر؟ الجواب باقٍ في حوزة الإنسان، فالمحبة، الغفران، الندم، ليست خوارزميات تُلقن، بل تجارب تُعاش، وتُسكب من قلب ذاق الحياة بكل تناقضاتها، والذكاء الاصطناعي قد يساعدنا على أن نكون أكثر إنسانية، وإن تذكرنا أننا من نصنعه، لا هو من يصنعنا، وقد يأخذنا إلى قيعان الجحيم إن نسينا أن الحكمة لا تُبرمج، بل تُلهم، وهكذا، يبقى الذكاء الاصطناعي كالسيف المسنون، من أمسكه بحكمة فتح به باب العدل والمعرفة، ومن غفل عن نصله، جرّ على نفسه ظلاماً لا قِبَل له به، النعمة لا تكمن في الآلة، بل في نوايانا، والنعمة لا تُولد من الكود، بل من فراغ قلوبنا من الضمير، فلننظر إلى الذكاء الاصطناعي لا كإله جديد، بل كعبدٍ نمُنحه التوجيه، فإن صلحنا، صلح هو، وإن فسدنا،

فسدت معه كل الاحتمالات، وصلى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي
والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليما..

الباب الخامس: المقال الرابع (العربية لغة القلوب والأرواح)

اللغة العربية ليست مجرد أداة للتخاطب أو وسيلة للتفاهم، بل هي حياة تُسكَبُ في الحروف، ونورٌ يتغلغل في الأرواح. إنها لغة تنبض بالمحبة، تلامس الوجدان قبل أن تطرق الأذن، وتخاطب القلب قبل أن تستأذن العقل. وفي كل حرف من حروفها، طيف من الجمال، وفي كل جملة شذى من الروح. والعربية ليست لغة تُقرأ فقط، بل تُعاش. فمن قال إن اللغة وسيلة، لم يتذوق عبير اللغة العربية. إنها الكأس الذي يُدار على الأرواح، فيسكر بها عاشقون، ويتهجد بها الذاكرون، ويتنفس بها المتصوفة أنفاس العرفان، حيث تتحول الكلمات إلى مرايا تكشف خبايا النفس، وتفتح نوافذ النور على سر القلب. تأمل كلمة "السلام"، كيف تنساب كالماء، وتحتوي المعنى والمبنى، تجمع بين اللين والثبات، كأنها صلاة في هيئة لفظ، وكلمة "حب"، كيف تثبت من أعماق الوجود، وتحمل في بُنيته دفء الحياة، وتلامس خيوط القلب كما تلامس نسائم الفجر خدَّ الزهر.

واللغة العربية فريدة في قدرتها على التعبير عن الدقائق، تسع الحسي والمعنوي، والمجرد والمشهود، ففيها من الاشتقاق ما يُشبه انبثاق النور من النور، ومن البلاغة ما يجعل المعنى يُولد من رحم الجمال. والقرآن الكريم وهو الكتاب السماوي الخالد نزل بهذه اللغة، ولم يُنزل بها عبثاً، ويقول الله تعالى: "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" (يوسف: ٢). فاختيار العربية للوحي دليل على أن هذه اللغة تحمل من الطاقات الروحية والبيانية ما يعجز عنه الوصف، ولم يكن اختيار العربية صدفةً في مسيرة الأنبياء والأولياء، فقد حفظت تراث العارفين، وسجلت شهقاتهم في الليالي، وأناتهم في

المحاريب، سُطِّرت بها كتب الحكمة والعرفان، كأنها لغةٌ خُلقت لتكون جسداً للروح، ومرآةً للسر الإلهي في قلب الإنسان، تأمل أشعار الحلاج، وابن الفارض، وابن عربي، كيف تنثال كالسُّبح في بحور المعنى، لا يربطها منطق جامد، بل روح تهيم في مقامات العشق، تنطق بالعربية، لكنها تفيض بما يتجاوز الكلمة، فتصل إلى عمق الحقيقة، وهي لغة لها ذاكرة، تحتفظ بأثر الأرواح، وتردد صدى من ساروا في درب الله، كل بيت شعر، كل حكمة، كل دعاء، ينبت في حديقة العربية، كأنها تحمل في تربة حروفها بذور الخلود، وليس غريباً أن تُصبح العربية لغة الجنان، كما ورد في بعض أقوال العلماء والصالحين، إذ قيل إن أهل الجنة يتحدثون بها، لأنها لغة الطهر والنقاء، لغة الأنبياء والملائكة، لغة القلب إذا صَفَا، والروح إذا ارتَقَتْ، ومن دلائل عظمتها أنها تُدرَّس اليوم في كثير من الجامعات العالمية لا بوصفها لغة روحية فقط، بل بوصفها لغةً تحمل في طياتها فلسفةً وأدباً وروحاً وهويةً كونية، اللغة العربية ليست حكرًا على قوم، بل إرثٌ روحي مفتوحٌ لكل من طرق باب الجمال. ولهذا، تراها اليوم تدخل قلوب العارفين من غير الناطقين بها، يتعلمونها حباً، لا حاجة، ويكتبون بها عشقاً، لا فرضاً، وهي لغة لا تموت، لأنها لغة الأرواح، والروح لا تموت. تبقى ما بقيت الحياة، وتُبْعَث حين تُبْعَث القلوب من سباتها، فيا من تجهل العربية، اعلم أنك تجهل باباً من أبواب الله، ويا من تنطقها دون روح، أفق، فإنك لم تعرفها بعد، هي العطر إذا أُطلق، والنور إذا انسكب، والماء إذا رَقَّ، والحق إذا تكَلَّمَ، فالعربية، يا صاح، ليست لغة، بل طريقٌ، وسُبْحَةٌ، ونشيدٌ... إلى الله.

وصلى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا..

الباب الخامس: المقال الخامس (الفكر الحر والرأي الآخر)

الفكر الحر والرأي الآخر هما جناحا الطائر، فالحرية الفكرية ليست فوضى، بل مسؤولية، والقبول بالرأي الآخر ليس ضعفًا، بل حكمة. وبهذا المعنى، لا يكون الفكر الحر مجرد صرخة في وجه القيود، بل دعوة راقية إلى فضاء الإنسانية الواسع، حيث لا يعلو الصوت إلا ليرشد، ولا يُرفع الرأي إلا ليُضيء، ولا يُقال "أنا" إلا ومعها: "وأنت أيضًا". إنه الفن العظيم أن نعيش في تناغم مع المختلفين، أن نمنحهم المساحة ليكونوا، كما نمنح أنفسنا، لأننا بذلك فقط نُثبت أننا نملك فكرًا حيًا، وروحًا ناضجة، وعقلًا يدرك أن الإنسان أكبر من فكرة، وأغنى من موقف، وأن الشرف الإنساني هو الذي يخلق في سماء الوعي، حيث لا يستقيم ميزان العدل، ولا يثمر العقل، ولا تزدهر الحضارات، إلا حين يُفتح باب القول لغيرنا كما نفتح الباب لأنفسنا، ونمنح للآخرين حق الاختلاف كما نتمسك بحق التعبير، فالفكر الحر ليس مجرد رفاهية فلسفية أو ترفًا ثقافيًا، بل هو ضرورة وجودية لا يستقيم الإنسان بدونها، لأنه يولد مفكرًا بطبعه، متسائلًا، شغوفًا بالحقيقة، نافذًا بالبصيرة، ومنذ أن وقف سقراط في ساحة أثينا يواجه الحكم بالإعدام بسبب أسئلته، والبشرية تخطّ سيرة الفكر الحر بدماء الشجعان، وتضحيات الكبار الذين نادوا: "قل كلمتك ولو على السيف". وقد جاءت النصوص السماوية، وفي طليعتها القرآن الكريم، لتؤكد هذا النهج "لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي" [البقرة: ٢٥٦]، و"وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر" [الكهف: ٢٩]، فكانت هذه الكلمات تأصيلًا إلهيًا لمبدأ حرية الفكر والاعتقاد، واعترافًا بجوهر الإنسان ككائن مختار حرّ، لا تابع مقلّد، وليس

الفكر الحر عداءٌ للشوايت، بل هو انفتاح على العمق، وتوسيع لمدارك الفهم، وتنقية للحق من شوائب التكرار والجمود. فالرأي الحر لا يهاجم، بل يُسائل؛ لا يهدم، بل يُنمي؛ لا يُعادي، بل يُضيء. وتلك هي وظيفة الكلمة الصادقة، حين تصدر من قلب نير، وروح محبة، لا تبغي خصومة ولا تعصبا، بل تبحث عن الحق حتى في ثوب غير مألوف، وأما قبول الرأي الآخر، فهو امتحان النفس الكبير، حيث يظهر اتزان الإنسان حين يخالفك الآخر، يقول الإمام الشافعي: "ما ناظرت أحداً إلا ووددت أن يُظهر الله الحق على لسانه".

هذا هو السمو الحقيقي للفكر، أن لا نغار على أنفسنا من الحقيقة، بل نغار على الحقيقة من أنفسنا، وفي مجتمعاتنا، كثيراً ما يتحول الاختلاف إلى خلاف، والنقاش إلى خصام، لأننا لم نترب على تقديس الإنسان كقيمة قبل الفكرة، ولم نتعلم أن التنوع هو سر الجمال، كما الألوان لا تكتمل بها اللوحة إن كانت بلون واحد. إن قبول الرأي الآخر لا يعني أن نتنازل عن أفكارنا، بل أن نُحسن الإصغاء، أن نُدرك أن الحقيقة لا تُحاط من زاوية واحدة، وأن الإنسان مرآة الإنسان، يكشف له ما لم يكن يراه في نفسه، ولقد علمنا التاريخ أن الأنظمة التي منعت الفكر الآخر، وأغلقت أبواب الحوار، كانت أكثر قابلية للانهار، لأنها بنيت على الخوف لا على الثقة، وعلى القمع لا على الفهم. بينما ازدهرت الأمم التي فتحت نوافذ الحرية، وأطلقت طاقات التفكير، وأحاطت المختلفين بالتقدير لا بالتحقير، نعم، إن الفكر الحر والرأي الآخر هما علامة وعي، ورؤية سلام، وجسر حضاري يعبر به الإنسان من ضيق التعصب إلى رحابة الإنسانية، من ظلمة الإقصاء إلى نور التكامل، وإذا أردنا أن نبني مجتمعات مزدهرة، فليكن شعارنا: "رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأيك خطأ يحتمل الصواب". عندها فقط، نرتقي بالفكر من صراعٍ إلى حوار، ومن جدلٍ إلى فهم، ومن خلافٍ إلى وحدة في تنوع.

وصلى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا...

الباب الخامس : المقال السادس (بغداد مركز الحضارة الثقافية)

بغداد ليست مجرد مدينة؛ إنها قلب نابض بالتاريخ، ومهد للمعرفة، وموئل للحضارات التي تعاقبت فأغنت الإنسانية بإرثها الرفيع. لقد كانت بغداد عبر العصور مركز إشعاع ثقافي وعلمي، ليس في الشرق وحده، بل للعالم أجمع، ففيها اجتمعت العقول، وتفتحت المدارك، وازدهرت العلوم، وتلاقحت الثقافات، حتى أصبحت أيقونة للتمدن والتنوير، فمنذ تأسيسها في القرن الثامن الميلادي، ضُمَّت بغداد لتكون مدينة عظمى، ومركزاً للإدارة والسياسة، لكنها ما لبثت أن تحولت إلى منارة للعلم والفكر. وفي العصر العباسي، بلغت بغداد أوج مجدها، فاحتضنت "بيت الحكمة"، تلك المؤسسة التي جمعت علماء من شتى الديانات والقوميات، نقلوا العلوم اليونانية والفارسية والهندية إلى العربية، وابتكروا في الطب والفلك والرياضيات والفلسفة والمنطق، وكانت الكتب تُنسخ وتُترجم وتؤلف هناك بمستوى لم تشهده مدينة قبلها، فأصبحت مكتبات بغداد من أعظم كنوز العالم، ولم تكن بغداد مدينة الكتب والعلماء فقط، بل كانت أيضاً موطناً للشعراء والموسيقيين والنحاتين والفنانين، ويكفي أن نذكر الشاعر المتنبي، الذي جال في مجالسها، وأبو نواس، رمز المجون والفكر، والجاحظ، الذي خطّ بحروفه أولى اللبنة في علم الكلام والأدب، وكما شهدت بغداد نشأة تيارات فكرية وفلسفية غيرت وجه العالم، وأسهمت في ولادة حركة العقل والنهضة لاحقاً في أوروبا، عبر ما نُقل من تراثها إلى الغرب.

وإن رقي بغداد الثقافي لم يكن حكراً على طبقة العلماء والأدباء، بل كان جزءاً من نسيج المجتمع، حيث انتشرت حلقات النقاش والمناظرات في

المساجد والبيوت والساحات، وتطوّر الذوق العام نحو الفن المعماري، فشيدت القصور والزخارف والمآذن بروح الجمال والفكر معاً، ولقد كانت بغداد مدينة يسمع فيها الإنسان صوت الناي كما يسمع صوت الفقيه، ويقرأ فيها الحكمة كما يقرأ الشعر، وحتى في مراحل المحن والحروب، بقيت بغداد رمزاً للإرادة الثقافية، فرغم الاجتياح المغولي سنة ١٢٥٨م، وسقوط الخلافة، لم تخدم شعلة المعرفة فيها. بل عادت، تترنح أحياناً وتقف أحياناً أخرى، لكنها دائماً تحتفظ بجمر الثقافة متقدّاً تحت الرماد، وفي العصر الحديث، واصلت بغداد دورها الثقافي، فأنجبت مفكرين وكتّاباً وشعراء وناشرين أثروا المكتبة العربية، وأسست جامعات ومعاهد لا تزال تستقطب العقول من أنحاء العراق والمنطقة.

إنّ الهوية الثقافية لبغداد تقوم على التعدد والتسامح والانفتاح فقد جمعت في مكوناتها الثقافي المسلم والمسيحي والصابئي واليهودي، وتعايشت فيها اللغات والألسن والعادات، وكانت هذه الروح المتسامحة من أسباب ازدهارها، حيث احتضنت الآخر وأدركت أن الثقافة لا تولد في الفراغ، بل في التنوع والجدل والتفاعل، وإنّ موقع بغداد الجغرافي على نهر دجلة، وتاريخها الممتد في عمق الحضارات السومرية والبابلية والآشورية، أضفى عليها عبقاً خاصاً، فليست ثقافتها معزولة عن محيطها، بل متصلة بجذور الرافدين، ومستقبل الأمة، وبغداد اليوم، رغم ما مرت به، لا تزال تحمل راية الثقافة، وتلملم شتات المعرفة من جديد، وأن الكُتّاب لا يزالون يكتبون، والجامعات لا تزال تُخرّج العلماء، والشباب يبدعون في مجالات التكنولوجيا والفن والمسرح والسينما، ليعيدوا لبغداد وجهها الثقافي الساطع، وهكذا، فإن بغداد، بماضيها المشرق، وواقعها المتجدد، تظل مركز الحضارة الثقافية في الشرق، شاهدة على أن الثقافة لا تموت، وأن المدينة التي أنجبت الحضارة، قادرة على أن تبعثها من جديد.

وصلى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى
آله وصحبه وسلم تسليماً..

الباب السادس: السياسة وخدمة الإنسانية

(حين تُخلَق السياسة لخدمة الإنسان، تصبح عدلاً؛ وحين يُخلَق الإنسان لخدمة السياسة، تصبح سجنًا)

الباب السادس: المقال الأول (السياسة من أجل الإنسان)

ليست السياسة، كما يُراد لها أن تكون أحياناً، دهاءً أو مكرّاً أو لعبةً مصالحٍ متشابكة، بل في أصلها الأعمق وفي معناها الأجل، هي فنُّ تنظيم الحياة من أجل كرامة الإنسان، ووسيلةٌ لتحقيق العدالة، وجسرٌ يصل بين الحلم والواقع. والسياسة التي لا ترى الإنسان في مركز اهتمامها، تفقد معناها وتتحول إلى سلطةٍ خاوية تخدم القوالب لا القلوب، وتقّدر الشكل دون الجوهر. "السياسة من أجل الإنسان" ليست شعاراً رناناً، بل نداءً ضمير، ومبدأً لا يشيخ، ورسالةً لا تسقط بالتقادم، وهي أن تكون السياسة حارسةً للرحمة، خادمةً للحق، ورافعةً للبسطاء، لا سوطاً يُلَوّحُ به، ولا مسرحاً للنخبة يتفرجون فيه على أَلَم الشعوب، إنها موقفٌ أخلاقيّ قبل أن تكون مشروعاً حزبياً، ووجدانٌ قبل أن تكون دستوراً، وهي، كما قال أحد الحكماء: "أجمل حين تتوضأ بماء القيم، وتصلي في محراب الإنسان." وحين تنحاز السياسة إلى الإنسان، تُسخّر القوانين لتخفيف معاناته، لا لتبرير استغلاله، وتُبنى المدارس لا السجون، تُرفع الأوطان لا الجدران، وتُصان الكرامات ولا تُهدر باسم المصلحة، وفي مثل هذه السياسة، يكون الحاكم خادماً لشعبه، لا سيداً عليهم، وتكون الكلمة الحرة ركيزة بناء، لا تهمة في ملف، والإنسان، في

جوهره، ليس مجرد رقم في إحصاء، ولا بنداً في الميزانية، بل هو القيمة العليا، وغايتها. وكل مشروع لا يُعيد الاعتبار للإنسان، يسقط ولو بدا شامخاً، فالدولة التي لا تضع سعادة الإنسان هدفاً، تفقد طريقها، وتضيع بوصلتها. أما الدولة التي تفهم السياسة على أنها "رعاية الإنسان في كل حال"، فهي تزرع الأمل، وتحصد الوفاء.

وفي عالم تزداد فيه الحروب والنزاعات، وتضيع فيه الأصوات الصادقة، يصبح التمسك بسياسة من أجل الإنسان مقاومة حضارية، وفعلاً روحياً. فأن تضع الإنسان أولاً، هو أن تؤمن بأن كل إصلاح يبدأ من القلب، وأن بناء الجسور أعظم من رفع الأسوار، "السياسة من أجل الإنسان" ليست فقط مساراً للحكم الرشيد، بل هي ترجمة لفلسفة راقية، تؤمن بأن الإنسان، كل إنسان، يستحق أن يعيش حرّاً، كريماً، مطمئناً، وإنها ليست حلمًا بعيداً، بل مسؤولية عاجلة، تبدأ من الفرد وتنمو إلى أن تصبح ثقافة شعب، ثم نهج أمة. وصلى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا..

الباب السادس: المقال الثاني (التسامح والتعايش السلمي)

في عمق الروح البشرية، هناك نداءٌ خفيٌّ ينادي إلى السلام، إلى الصفح، إلى اللقاء في منتصف الطريق بين الضدية والتكامل، وذلك النداء هو نداء التسامح، وهو الجسر الأول نحو التعايش السلمي، ذلك الحلم الذي كلما اقتربنا منه شعرنا بإنسانيتنا تتجلى وتسمو. والتسامح ليس مجرد كلمة عابرة، بل هو حالة روحية، وقرارٌ أخلاقيٌّ ينبع من صفاء النفس، ويتجلى في قبول الآخر كما هو، دون شروط ودون أحكام مسبقة، وهو أن ترى في الآخر مرآةً لذاتك، أن تعترف بحق الاختلاف كما تعترف بحق الحياة، قال تعالى في محكم كتابه: "ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم" [فصلت: ٣٤]، وهذه الآية فيها دعوة عظيمة إلى أن نواجه الشرَّ بالخير، وأن نرتقي بأنفسنا إلى مقام الصفح واللين والمودة.

وإن الأنبياء والأولياء والصالحين، عبر مسيرتهم الطويلة في هداية البشرية، لم يكن سلاحهم العنف ولا الجبر، بل كان سلاحهم هو الرحمة والتسامح، قال النبي سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "رحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء"، وقال أيضًا: "اذهبوا فأنتم الطلقاء"، وهو يخاطب من آذوه وأخرجوه، بعد أن مكّنه الله منهم في فتح مكة المكرمة، لكنه اختار أن يعفو، لأن رسالته كانت سلامًا من السماء إلى الأرض، والتصوف الحقيقي لا يُبنى على التزمّت ولا على الإقصاء، بل على إشاعة المحبة، ورؤية النور الإلهي في كل مخلوق. فالمتصوف يرى الخلق

جميعًا عيال الله، كما ورد في الحديث "الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله".

لذلك فإن المتصوف الصادق لا يؤمن بالحدود النفسية بين البشر، بل يؤمن بوحدة القلب والوجدان، ويؤمن أن السلام هو أصل الوجود، والتعايش السلمي هو ثمرة من ثمار التسامح، وهو ليس استسلامًا ولا تذويًا للهوية، بل هو شراكة إنسانية تقوم على الاحترام المتبادل، وفي عالمنا الذي امتلأ بالصراعات والحروب الطائفية والعرقية، أصبح التعايش ضرورة لا رفاهية، وقد قال الإمام علي عليه السلام: "الناس صنفان: إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق"، وهذه العبارة تختصر فلسفة التعايش في أن الأصل في البشر هو التساوي في الإنسانية، مهما اختلفت الأديان أو المذاهب أو الثقافات.

ولعلنا في هذه اللحظة من التاريخ، بحاجة إلى ثورة روحية، ليس بالسلاح، بل بالحب، بحاجة إلى أن نخلع أثواب الكراهية التي أرهقتنا، وأن نعود إلى بساطة الفطرة، حيث القلب الطيب الذي يحمل النور والتسامح، وهذا لا يضعف من كرامتنا، بل يعليها، وهو لا ينقص من مكانتنا، بل يزيدها رفعة، فليكن لنا في الأنقياء من أهل الله قدوة، الذين إذا أودوا صبروا، وإذا ظلموا غفروا، وإذا خيروا بين الانتقام والمغفرة اختاروا المحبة، هكذا ترتقي الأمم، لا بتكديس الأسلحة، بل ببناء الإنسان في داخله، زرع الرحمة، وتربية القلب على العفو..

فيا أيها الإنسان:

سامح... لأنك أنت المستفيد الأول من هذا النور.

تعايش... لأنك حين ترفض الآخر، فإنك تسجن نفسك في قوقعة الخوف والجهل.

وكن كالشمس تضيء الجميع، لا تفرق بين قلب وقلب، ولا بين لون ولون.

التسامح والتعايش ليسا حلمًا بعيدًا، بل هو الواقع الممكن، متى ما
وُجدت الإرادة، ونطق القلب بصدق المحبة، اللهم اجعلنا من الذين إذا أُسيء
إليهم غفروا، وإذا قُطعوا وصلوا، وإذا أبعدوا اقتربوا، واجعلنا سُفراء سلام،
وأوتادًا للمحبة في أرضك يا أرحم الراحمين.
وصلّى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى
آله وصحبه وسلم تسليمًا..

الباب السادس: المقال الثالث (السلام سبيل النجاة)

السلام هو سبيل النجاة، لا لأنه غاية سياسية، أو خيار استراتيجي، بل لأنه جوهر من جواهر الروح، ونبع من منابع النور الإلهي، وهو ليس صلحاً بين فرقاء، أو هدنة بين متخاصمين، بل هو حالة من الاتزان الداخلي، والسكينة الوجودية، والتناغم مع النفس والكون والخالق. السلام في التصوف، وخصوصاً في الرؤية الكسنزانية، لا يُطلب من الخارج، بل يُولد من الداخل، يُزرع في القلب وينبت في العمل والكلمة والنظرة، وهو يثمر محبة وأمناً ورحمة.

ولقد أدرك السالك في الطريق الكسنزاني أنّ الجهاد الأكبر هو جهاد النفس، وأنّ من ملك نفسه حين الغضب، وألجم لسانه حين الفتنة، فقد سار على طريق السلام، واقترب من الحضرة. قال السيد الشيخ عبد القادر الكسنزان قدس سره: "كل حرب تبدأ من النفس، وكل سلام يبدأ من النفس، فطهر نفسك يكن العالم من حولك طاهراً.... وهذه دعوة لا إلى العزلة، بل إلى التغيير من الداخل لينعكس أثره في الخارج، والإنسان في فلسفة الطريقة العلية القادرية الكسنزانية هو مرآة تتجلى فيها أسماء الله وصفاته، ومن تجلى فيه اسم السلام كان سلباً لمن حوله، رحمة لمن خالفه، نوراً في ظلمة الخوف، وجسراً بين المختلفين. كيف لا، وقد قال تعالى ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ [يونس: ٢٥]، أي إلى مقام الطمأنينة الوجودية والروحية، حيث لا نزاع ولا خوف ولا كدر، وفي زمن تصاعدت فيه موجات الكراهية، وتكاثرت الخطابات الداعية للفرقة، يكون السلام موقفاً شجاعاً، وثورة صامتة، وصرخة روحية في وجه الصخب العالمي.

وقد أثبت التاريخ، أن أولياء الله الذين ساروا على خطى المصطفى سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، كانوا دعاة سلام، لا لأنهم عاجزون، بل لأنهم أقوياء بالمحبة، أقوياء بالعفو، أقوياء بالحكمة. ألم يُعرف الإمام علي عليه السلام بقوله: "الناس صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق"؟ هذا هو السلام العلوي، وهذا هو السلام الكسنزاني، الجامع بين الإيمان والإنسان، وفي كل خلوة من خلوات الطريق الكسنزاني، وفي كل وردٍ من أواردها، يُغرس في قلب السالك حب الخير للناس، والدعاء لهم، والسعي لتضميد جراحهم لا لإذكائها، ذلك لأن السلام، في هذا المقام، ليس شعاراً يُرفع، بل سرّاً يُورث، وسلوكاً يُعاش، فالسلام هو مقام من مقامات السالك، ومظهر من مظاهر الكمال الروحي، ولا يُنال إلا بتزكية النفس، وتصفية القلب، وصدق المجاهدة.

ومن تأمل في اسم حضرة الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزاني القادري الحسيني، أدرك أن الشمس لا تحرق، بل تنير، وأن الدين لا يفرض، بل يُعرض، وأن الكسنزاني ليس تياراً روحياً فحسب، بل رسالة حب وسلام ممتدة من الروح إلى الروح، ومن القلب إلى القلب، وكم من النفوس المضطربة وجدت في ظله سكينة، وكم من الأرواح التائهة استقرت على ساحل السلام في حضرته، ولأن السلام لا يُبنى بالشعارات، بل بتربية جيل يؤمن بالإنسان أولاً، ويقدّس الحياة، ويعلم المحبة، فإن المسؤولية اليوم تقع على عاتق كل من سار في درب التصوف الحق، أن يكون رسول سلام، لا بالصوت العالي، بل باليد الممتدة، والوجه المبتسم، والقلب المتسامح، كما جاء في الحديث الشريف: "أفشوا السلام بينكم." [رواه مسلم]، فهو دعوة لتأسيس مجتمع روحي، تبدأ علاقاته بالسلام وتنتهي بالسلام، ومن أسماء الله "السلام"، فمن أراد القرب منه، فليسلك سبيل السلام، في نفسه، وفي أسرته، وفي وطنه، وفي الإنسانية جمعاء.

ولقد أثبتت الدراسات المعاصرة أن المجتمعات المتسامحة التي تسود فيها قيم السلام الداخلي والخارجي، تحقق أعلى درجات الرفاه والاستقرار والإبداع، ففي تقرير مؤشر السلام العالمي لعام ٢٠٢٣، تبين أن الدول الأكثر سلمًا هي الأكثر تطورًا واستقرارًا اجتماعيًا واقتصاديًا، وهذا يؤكد أن السلام ليس خيارًا أخلاقيًا فقط، بل ضرورة وجودية وإنسانية، وإن السلام ليس غياب الحرب فقط، بل حضور العدالة، وانتشار الرحمة، وانبثاق الوعي، وسمو الأخلاق، وكما قال مولانا جلال الدين الرومي: "السلام ليس بضع كلمات، بل هو الهدوء الذي يسكن في الروح"، فهنئًا لمن سكن فيه السلام، وعاش به، ونادى به، وكان في حضوره نورًا، وفي غيابه دعاء، فالسلام سبيل النجاة، لأنه خلاصة الحكمة، وروح الرسالة، وجوهر التصوف، وطريق الأحاب. ومن لم يسلكه، ضاع في ضجيج الغضب والانتقام والكراهية. ومن سار فيه، فاز بالقرب، واطمأن قلبه، وأصبح جسرًا يمر عليه الناس من الخوف إلى الأمان، ومن الظلمة إلى النور، ومن الشك إلى اليقين، وصلى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا.. هل ترغب أن نحوله إلى كتيب روحاني أو نظوره إلى ندوة تفاعلية؟

الباب السادس: المقال الرابع (كلمة الحق في زمن الخوف)

كلمة الحق هي من أشجع ما يمكن أن يصدر عن قلب مؤمن، وضمير حي، وروح لا تعرف الانكسار أمام البطش والظلم في زمن الخوف، وإن قول الحق لا يعد فقط فضيلة أخلاقية أو قيمة إنسانية، بل هو عبادة عظيمة، وتكليف رباني، وواجب لا يسقط حتى في أحلك الظروف واللحظات والمواقف، وأشد الظروف قسوة، وفي أزمنة الخوف حيث تسود الكلمة الباطلة، ويكتم فيها الأفواه، ويلاحق فيها الأحرار، يصبح قول الحق شهادة، وموقفًا، وميزانًا تُوزن به النفوس. والقرآن الكريم بين فضل كلمة الحق وأمر بها، قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين" (النساء: ١٣٥)، فالله يأمر بالعدل والصدق في الشهادة حتى لو كانت ضد النفس والأهل. ويقول النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم "أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر"، فتلك الكلمة ليست فقط جهادًا، بل هي قمة في الإيمان، ودليل على قلب لا يخشى إلا الله، قلب لا يضلّه الترهيب ولا تُغريه المنافع الزائفة، وزمن الخوف ليس زمانًا اعتياديًا، بل هو مرحلة يُفتتن فيها الناس، ويُمتحن فيها الإيمان، وتُكشف فيها المعادن الحقيقية للبشر، والبعض يختار الصمت خوفًا على نفسه أو ماله أو سمعته، والبعض يختار التواطؤ تزييفًا للحقيقة، لكن قلة نادرة هي التي تقف لتقول الحق، دون انتظار تصفيق أو مكافأة، بل تقوله لأن الحق حق، ولأنهم لا يستطيعون خيانة أرواحهم، وإن كلمة الحق لا تعني فقط فضح الظلم، بل تعني أيضًا تثبيت القلوب، وبثّ الأمل، وكسر جدار الصمت، وإحياء الضمائر. هي ليست صرخة في الفراغ، بل هي نبض في ضمير الأمة،

تبدأ همساً، ثم تتحوّل إلى نداء، ثم إلى حركة، ثم إلى تغيير. وفي تجارب الشعوب كلها، كانت البدايات كلمة، خرجت من فم رجل واحد، لكنها دوّت في الأرجاء، وأيقظت الآلاف، ثم الملايين.

والخوف شعور إنساني، لكن الانكسار له ليس قدرًا، إنّ الصوفيين والعرفاء كانوا دومًا يُدركون أنّ الشجاعة في قول الحق لا تأتي من الجسد، بل من الروح المتصلة بالله، من اليقين بأن الرزق بيد الله، وأن الحياة والموت بيده، وأن لا سلطان لأحد على قلوب العارفين، قال أحدهم: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟" كلمة هزّت عروشًا، وكسرت القيود، وبقيت حيّة إلى اليوم، لأنها خرجت من قلب لا يعرف الخوف إلا من الله.

كلمة الحق لا تموت، قد يُسجن قائلها، قد يُحارب، قد يُفترى عليه، لكن الكلمة نفسها لا تُحبس، ولا تُقتل، بل تظل تتردد في الأرجاء، تبحث عن قلوب أخرى تحتضنها، وتُكمل بها الطريق، وهي ميراث الأنبياء، وصوت المصلحين، ونور السالكين إلى الله، حيث لا يُمكن لباطل أن يتصر على الحق، مهما طال الزمن، لأن الباطل زبد، والحق يبقى، كما قال تعالى: "فأما الزبد فيذهب جفاءً، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض" (الرعد: ١٧). وفي زمن الخوف، لا نحتاج إلى كثرة الكلام، بل إلى صدق الكلمة، لا نحتاج إلى من يُسائر، بل إلى من يُنير. لا نحتاج إلى تزيين الواقع، بل إلى كشفه. كلمة واحدة، تُقال من قلب صادق، قد تُغير مجرى حياة، وتُسقط طغيانًا، وتوقظ أمة، فهل نحن على استعداد أن نكون من أهلها؟ وهل لا زال فينا ما يكفي من شجاعة لنقولها؟

وإنّ من أراد الله وجهه، لن يخاف من وجوه الطغاة، ومن تعلّق قلبه بالحق، لن يخضع للباطل مهما علا صوته، فكن أنت الصوت في زمن الصمت، وكن أنت الحق في زمن الخوف، فالله معك، وإن خذلك الناس. وصلى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا..

الباب السادس: المقال الخامس (الحروب لغة الشيطان)

في البدء كانت الكلمة، والكلمة كانت سلامًا، وكانت الأرواح تتعاقب قبل أن تتصافح الأيادي، وكانت القلوب تنبض بالنور قبل أن تنطق الألسن، ولكن حين عطلت البشرية سراج الروح، وتنكرت لنورها الداخلي، تمددت الظلال، وانجس من رحم الجهل صوت أجش، إنه صوت الحرب، لغة الشيطان، وأداة الخراب. والحرب ليست نزاعًا على الأرض فقط، بل طمس للهوية الإلهية في الإنسان. وهي ارتداد عن الفطرة، وانقلاب على عهد السجود الأول. فالشيطان، مذ طرد من حضرة النور، لم ينقطع عن زرع الفتنة في صدور البشر، ولم ينفك عن تحويل الحب إلى كراهية، والمعرفة إلى غرور، والعقيدة إلى صراع، والحروب كلها، وإن اختلفت راياتها، تتغذى من منبع واحد: الأنا المنفصلة عن الله، المتغترسة، المتورمة بهوس السيطرة، ألم يقل الله في كتابه الكريم ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾؟ (الأنعام: ١٥١). لكن ما من حرب إلا وقد داست على هذا الحق، ورفعت سيفها في وجه وصية السماء، والحرب ليست من الله، بل من طينة الجحيم، من دخان الكبرياء وغرور القوة. قال سيدنا المسيح عليه السلام: "طوبى لصانعي السلام، لأنهم أبناء الله يدعون"، فهل سمع الشيطان هذا النداء؟ كلا، لأنه لا يتقن إلا الضجيج، وأما التصوف، فهو لغة الرحمن، هو عودة القلب إلى الهدوء الأزلي، وهو سلوك الطريق العارف إلى الذات الإلهية، إلى مقام "سلام" هي حتى مطلع الفجر". العارف بالله لا يحمل سيفًا، بل يحمل سرًا، ولا يدخل معركة، بل يدخل خلوة، والحرب عنده ليست في الخارج، بل في الداخل، مع النفس الأمارة، مع الوهم، مع الظلمة، وقد قيل

"حاربوا أنفسكم قبل أن تحاربوا غيركم، فإن انتصرتم عليها، انتصرتم على العالم كله."

وفي المدرسة الكسنزانية، لا مكان للحقد، ولا لمذهبية السلاح، بل لحبّ يشمل الوجود، ونحن لا نرى الآخر خصمًا، بل مرآة، لا نرى الدين حدودًا، بل جسورًا. لأن من ذاق حبّ الله، لا يستطيع أن يكره مخلوقًا، فالروح العرفانية لا تتغذى على انتصار، بل على انسجام، على توازن، على ترقّي. والسالك الحقّ، إذا رأى نارًا مشتعلة بين الناس، بكى، لأنه يعلم أن كل قطرة دم تُراق، هي دمعة تُذرف في عالم الأرواح، وانظر إلى التاريخ... كل من أشعل حربًا، أحرق نفسه ولو بعد حين. فرعون، نمرود، هتلر، وكل من استباح دمًا، أصبح عبرة، أما الذين دعوا إلى السلام، فهم باقون، خالدون، أرواحهم نبع يفيض حتى اليوم، أليس الحسين عليه السلام، رغم السيف، هو المنتصر في ذاكرة النور؟ أليس العارفون الذين لم يرفعوا سلاحًا، هم الذين قادوا أعظم الثورات في القلوب؟ والحروب لا تبني، بل تهدم. لا تحرر، بل تستعبد، وهي صرخات شيطانية في زمن غفلة، أما السلام، فهو لحن الملائكة، والحروب من حروف الغضب، والسلام من أنفاس الرضا، الحرب تُنطق بلغة الفناء، والسلام يُكتب بلغة البقاء، وفي كل أرض دمرها القصف، كانت هناك زهرة تنتظر أن تزهر، وفي كل طفل مات، كان هناك وليّ الله يُذبح في الخفاء، وفي كل حرب، روح تسقط من السماء، لأن السماء لا تحتمل ظلم الإنسان لنفسه، أيها الناس، إننا في آخر الزمان، حيث يُفتح كتاب الأعمال وتُوزن النوايا، فاختاروا لغتكم، إما لغة الشيطان، وإما لغة الرحمن، إما فُتات الغنيمة، وإما كرامة المعرفة، إما الحرب، وإما الحبّ... هو دين الكسنزانية، هو سرّها، وسلاحها، ورايتها. هو لغتنا، وميراثنا، ورسالتنا في هذا العالم المضطرب.

فيا من تقرأ... لا تجعل قلبك جبهة. اجعله محرابًا.
ولا تكن جنديًا في جيش الحقد... كن رسولًا للسلام.

ولا تردد صرخات الحرب... بل أنشد بصوتك: السلام عليكم... وسلام
على الأرض.
وصلى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى
آله وصحبه وسلم تسليما..

الباب السادس : المقال السادس (العدالة في منظومة القرار)

العدالة في منظومة القرار هي جوهر الوجود الإنساني، وهي الميزان الإلهي الذي وُضع ليقوم به الكون وتُبنى به الأمم، وتستقيم به النفوس. وحين يغيب هذا الميزان عن القرار، يضطرب العالم وتعم الفوضى، وتتشظى القلوب، ويتكالب الظلم على الأرواح، فلا تجد الإنسان إلا حائرًا في دروب الخيبة، تائهاً في متاهات الاستبداد والتمييز. العدالة ليست قانونًا يُسنُّ فحسب، بل هي شعورٌ حيٌّ، ووعيٌ متجددٌ، ونورٌ داخليٌّ ينبثُ في القلوب المتطهرة، ويزهرُ في العقول المنورة، ويثمرُ في الأفعال المتزنة،

وفي المنهج الصوفي والعرفان الكسرناني، العدالة ليست مجردَ تقنينٍ بشريٍّ، بل هي انعكاسٌ لصفةٍ من صفاتِ الله، فهي اسمٌ من أسمائه الحسنی، وهي من تجليات الرحمة الإلهية في الأرض. فالعدلُ عند أهل التصوف هو أن تضع كل شيءٍ في موضعه، وتعطي كل ذي حقٍ حقه، لا لمجرد الالتزام بل بدافع المحبة الإلهية والتسليم للحق المطلق. ولهذا فإن القرار في هذه المدرسة لا يصدر عن هوى، ولا عن مصلحة ضيقة، بل ينبع من قلب منير متصل بالحق، متشرب بالحكمة، منفتح على الناس جميعًا دون استثناء، والعدالة ليست أن تُنصف القوي حين يتغطرس، ولا أن تغض الطرف عن الضعيف حين يخطئ، بل أن تزن الأمور بميزان الروح، لا بميزان المصلحة، ولهذا كان القرار العادل لا يصدر إلا من نفوس مجاهدة، صقلت بالذكر، وتطهرت بنور الصدق، وارتقت بالمحبة، فصار صاحبها مرآة تعكس النور الإلهي في الأرض، ومن هنا نفهم أن العدالة ليست فعلًا لحظيًا، بل حالة

دائمة من التوازن الداخلي، والصفاء الروحي، والارتقاء بالضمير إلى مرتبة الشهادة على الناس لا الحكم عليهم.

وفي الرؤية الكسنزانية، العدالة لا تنفصل عن الرحمة، ولا تتناقض مع اللين، بل هما جناحا القرار الرباني، والقرار في هذه الرؤية ليس امتيازاً للسلطة بل مسؤولية أمام الله والخلق، وكلما اقترب صانع القرار من النور، تنزه عن الأهواء، وكلما ابتعد عن النور، تسرب إليه الظلم من حيث لا يشعر، حتى لو تلحف بشعارات الإنصاف. لأن العدل الحقيقي لا يُمنح إلا لمن غسل قلبه من الأنا، وأغرق نفسه في بحر الحب الإلهي، وتخلّى عن الذات لصالح الحقيقة، وحين تغيب العدالة عن منظومة القرار، تبدأ الأمة بالذبول، لأن الأرواح لا تنمو في بيئة الظلم، والعقول لا تزدهر في مناخ القهر، والقلوب لا تطمئن إذا لم تشعر بأنها محترمة ومسموعة ومنصفة، ولهذا فإن العدالة ليست مطلباً سياسياً فقط، بل هي حاجة روحية، وضرورة عرفانية، ومحور من محاور التربية الأخلاقية، تبدأ من داخل الإنسان وتمتد إلى المجتمع ثم تعلو لتشمل الدولة، ومن ثم الإنسانية كلها، وإن الطريقة الكسنزانية وهي تعلي من شأن العدل، لا تطرحه فقط كأداة تنظيم، بل كوسيلة تربية وسلوك وسير إلى الله، ومن أقوال مشايخها: "ما ارتفع من ارتفع إلا بالعدل، ولا سقط من سقط إلا بالظلم"، فكل قرار لا يخرج من محبة، ولا يقوده نور، ولا يسنده إنصاف، فهو ظلم وإن تجمل بثياب الشرع، وهو جور وإن استند إلى مؤسسات، وإن من أعظم مظاهر التمكين الإلهي أن يُمنح الإنسان القدرة على اتخاذ قرار عادل، لأن ذلك يعني أنه قد خلع عن نفسه عباءة الهوى، ولبس رداء النور، فما أحوجنا اليوم إلى عدالة تنبع من الروح، لا من الأهواء؛ عدالة تتنفس من القلب، لا من البيروقراطية؛ عدالة تقود القرار بروح الإنسان لا بغريزته، عدالة كسنزانية ترى في كل مخلوق نوراً من نور الله، لا عدواً أو تابعاً أو خصماً. عدالة تُنصف دون أن تُذل، وتُحاسب دون أن

تُهين، وتبني دون أن تُقصي، عدالة تشد الإصلاح لا الانتقام، وتهدف للترقي لا للتدمير.

فيا من بيدكم القرار، إن لم يكن في قراراتكم عدل، فأنتم لا تحكمون بل تظلمون، وإن لم يكن في قلوبكم نور، فأنتم لا تديرون بل تضلون. ولا صلاح لأمة تُقصي فيها العدالة، ولا نهضة لشعب لا يجد الإنصاف ملاذًا، ولا استقرار لمجتمع تُبنى قراراته على المصلحة لا على الحق، فكونوا عادلين يكن الله معكم، وكونوا منصفين يفتح الله عليكم، وكونوا نزيهين يحبكم الله، فإنّ العدل هو الحياة، وهو الدين، وهو الله في تجليه بينكم. وصلى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا..

الباب السابع: الكون في خدمة الإنسان

(سَخَّرَ اللهُ الكونَ بأسره لحكمةٍ، ومن فهم مقامه سَخَّرَ كل شيءٍ لخدمته
بعلمه وسلوكه)

الباب السابع: المقال الأول) العلاقة بين الزراعة والتوازن مع الطبيعة

العلاقة بين الزراعة والتوازن مع الطبيعة ليست مجرد علاقة مادية بين الإنسان والأرض، بل هي رباطٌ روحي عميقٌ، وحوارٌ يوميٌّ صامتٌ بين القلب والطبيعة، بين الروح والتراب، بين النفس والأرض، وإنَّ الزراعة هي وجّةٌ من وجوه التوحيد، تُعلنُ فيه يدُ الإنسان الشاكرة انسجامها مع السنن الكونية، وتُظهرُ فيه إرادة الله في الإنبات والنمو والإثمار، كما جاء في قوله تعالى: "أفأرأيتم ما تحرثون، أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون" [الواقعة: ٦٣-٦٤]، إشارة إلى أنَّ الفعل الظاهري بيد الإنسان، لكن القدرة على الإحياء والإنبات هي لله وحده. وحين يحرث الإنسان الأرض، يُشبهُ في روحه من يدخل خلوةً للتطهر، ويضعُ البذورَ في أحشاء الأرض كما يضعُ السالكُ أوراده في أعماق قلبه، منتظرًا أن ينبتَ النورُ من ظلمة المجاهدة، فالزارعُ الحقيقي لا يرى فقط قمحًا ويقطينًا، بل يرى أسرارًا ولطافًا، يرى أن... يرى أن في كل ورقة خضراء، وفي كل قطرة مطر، رسالة من الحي الذي لا ينام، تبث في الأرض حياة، وتبث في القلب يقينًا، والزراعة المستدامة، في جوهرها، دعوة صوفية للتوازن، فهي لا تُفرط في استنزاف الأرض، ولا تُهمل حاجتها للراحة والتجدد، وكما أن السالك لا يرهق جسده بالرياء والشكليات،

بل يعتني بجوهره، ويتناغم مع موازين الخلق، وكل شجرة تُروى بمقدار، وكل موسم يُعطى وقته، لأن التوازن مع الطبيعة هو التوحيد العملي، والامتثال للمشيئة الإلهية التي جعلت لكل شيء قدرًا، ولقد علّمنا أهل العرفان أن من لا يقدر نعمة التراب لا يقدر نعمة الروح، فالتراب أصل الجسد، وفيه سرّ التواضع والخضوع، ومنه يُخرج الله الحياة. ولذلك كان أول ما بُدئ به الخلق من طين، وكان آخر ما يُعاد إليه الإنسان من تراب، فالزراعة، إذًا، ليست مهنة، بل سلوك، ومقام من مقامات الإحسان، يتعامل فيه الزارع مع الأرض كما يتعامل العارف مع قلبه يحرقه من الغفلة، يبذره بصدق النية، يسقيه بالمجاهدة، ومنتظر ثمرته في وقتها، بلا استعجال، لأن أهل الله لا يستعجلون أمرًا جعله الله بمقادير،

وفي الفكر الكسنزاني، الزراعة تأخذ بعدًا روحياً عميقاً، حيث تُعدّ الأرض مرآة النفس، فإن كانت طيبة أنبت سنابل الخير، وإن كانت سبخة لم تُنبت إلا الشوك. وهكذا النفس إن خلصت من أهوائها، أنبت أعمالاً صالحة، وإن تراكمت عليها الظلمات، صارت أرضاً قاحلة. لذلك كان الزاهدون والعرفاء يعشقون الزرع، ويجدون فيه خلوةً خارج الخلوة، وتأملاً لا يحتاج إلى كلمات، وقد روى بعض السالكين عن حضرة الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان القادري الحسيني قدست أسرارته، أنه قال: "الأرض إذا أحببتك أعطتك، وإذا ظلمتها شحت عليك، فاجعل تعاملك معها تعاملًا مع حيٍّ يُصلي بصمته، ويشكو بصبره". وهذه الحكمة تُعبّر عن جوهر الرؤية الكسنزانية للطبيعة، وأن كل شيء فيها حيٌّ بنفس الله، وكل ذرة فيها تنبض بالذكر، والزارع إنما يشارك الأرض في تسبيحها، حين يزرع بنية الخير، لا بنية الجشع، ويعطي كما يأخذ، ويحمد كما ينتظر، والزراعة أيضًا مدرسة في الصبر. كما قال الإمام علي عليه السلام: "من زرع حصد". لكن من حصد بدون انتظار، لم يدرك الحكمة. ولهذا كانت الزراعة تجربة وجدانية لمن أراد أن يفهم سنن الله في الكون، لا يثمر الغرس قبل أوانه، ولا تنبت البذور إلا

إذا عرفت عمقها المظلم طريقاً للنور، هكذا النفس البشرية لا تزهر إلا بعد صبر، ومجاهدة، ومراقبة، كما تراقب النبتة الصغيرة طلوعها من بين شقوق التراب، والتوازن مع الطبيعة في زمننا المعاصر ليس ترفاً فكرياً، بل ضرورة وجودية، وإن الاعتداء على البيئة، والإفراط في استخدام المبيدات، والتوسع الصناعي الجائر، كلها وجوه من وجوه الطغيان الحديث، الذي نزع عن الطبيعة قدسيتها، وتعامل معها كسلعة، لا كأم حانية. والعارف بالله لا يقطع شجرة عبثاً، ولا يلوث نهراً بلا ندم، لأن قلبه يأنس إلى كل ما فيه روح، ويخشع أمام كل ما فيه سرّ، وفي النهاية، الزراعة التي تُبنى على التوازن، هي زراعة المحبة والرحمة، والزارع هو العارف الذي يُلقي بذرته في الأرض كما يُلقي سرّه في الخلوة، ثم يخرج ينتظر الغيث من السماء، لأنه يعلم أن الله وحده هو الذي يُنبت، وهو الذي يُثمر، وهو الذي يعطي لكل شيء جماله في أوانه.

وصلّى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً..

الباب السابع: المقال الثاني (الصناعة والروح الإنسانية)

إنّ الصناعة ليست مجرد أدوات وآلات وخطوط إنتاج، تسعى لجمع المال ورفع نسب النمو، بل هي في جوهرها تعبير عن حاجة الإنسان إلى التعمير والبناء، وإلى مشاركة الكون في فعل البناء والأعمار والإبداع. وفي هذا الفهم العميق، تُصبح الصناعة مظهرًا من مظاهر الروح الإنسانية، لا خصمًا لها، وعندما تكون متجذرة في القيم، منضبطة بالضمير، متوازنة مع الطبيعة، فإنّها تغدو وسيلة للترقي الروحي، لا للانحدار المادي. وفي الفكر العرفاني الكسنزاني، الإنسان مخلوق مستخلف، ومكرّم بالعقل واليد والقلب، فهو يبنى الأرض كما يُطهر النفس. وأنّ الصناعة في هذا السياق ليست فعلاً ميكانيكيًا، بل هي صلاة أخرى، إذا ما اقترنت بالنية الطيبة، والتقوى العملية، والتوازن مع العالم، وقد قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥] فالحديد، رمز القوة والصناعة، لم يُذكر عبثًا، بل لإبراز مكانته كأداة لإقامة القسط، وتحقيق النفع العام، إن استُخدم في طريق الخير، وفي التاريخ، لم يكن أهل التصوف منفصلين عن الإبداع الحرفي والصناعي، وكان الكثير منهم نساجين، حدادين، نحّاتين، بنّائين، يرون أن العمل اليدوي امتداد للذكر، وأن الصناعة الممتقنة هي نوع من الإحسان، قال سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه". فالإتقان ليس رفاهية إنتاجية، بل قيمة روحانية.

ومن زاوية كسنزانية عرفانية، تُفهم الصناعة على أنها خدمة للإنسان وخضوع لقانون الجمال الإلهي. فإذا تجرّدت الصناعة من روح الإنسان،

صارت باردة قاسية، تُنتج أدوات الدمار والتلوّث والاستعباد. أمّا إذا سُكبت فيها نفحة من الذكر، وارتبطت بالمحبة، والنية الصافية، والرؤية الكونية المتوازنة، فإنها تتحوّل إلى جسرٍ بين المادة والروح، بين الدنيا والآخرة، والصناعة حين تُقاد بالعقل المستنير والروح المتصلة، تخلق بيئة عمل أخلاقية، منتجًا نافعًا، ومجتمعًا متوازنًا، أما حين تُقاد بالجشع والأنانية، فإنها تقتل الإنسان في داخله، ولو زادت إنتاجه، ولذلك نحتاج إلى مدرسة صناعية روحانية، تعلّم المهارة كما تعلّم التزكية، وترى في كل آلة ذكراً، وفي كل منتج خدمة، وفي كل ورشة محراباً صغيراً، ولذلك قال الشيخ العارف بالله السلطان الخليفة محمد المحمد الكسنان (قدّس الله سرّه): "إن التصوف ليس هروباً من الحياة، بل غوصٌ فيها بوعي أعلى، ليكون الإنسان في قلب العالم، وفي قلبه الله." وهكذا، تكون الصناعة الكسنزانية صناعة من أجل الحياة، لا على حسابها، ومن أجل الإنسان، لا ضده. تكون توازناً بين اليد والعين، بين العقل والقلب، بين الإنتاج والرحمة، بين السرعة والحكمة، وإننا لا نرفض التقدم، ولكن نريده مغموساً بالإحساس، مكلّلاً بالحب، موجّهاً نحو الجمال، لا نحو الفناء، فالصناعة التي لا تعرف الرحمة، لا تعرف الإنسان، والإنسان الذي لا يسكب روحه في ما يصنع، يصنع شيئاً ميتاً، ولو كان ضخماً. فاصنع ولكن تذكّر أن تصنع بقلبك أولاً، وصلى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً..

الباب السابع: المقال الثالث (البيئة والمدينة الفاضلة)

في أعماق الوجدان البشري، تسكنُ أشواقُ المدينة الفاضلة، ذلك الحُلْمُ الذي يمثلُ اكتمالَ الجمالِ، وانسجامَ الإنسانِ مع نفسه، ومع مجتمعه، ومع الطبيعة والكونِ من حوله. إنّ المدينةَ الفاضلةَ ليست فقط عمرًا راقيًا أو قوانينَ عادلة، بل هي مقامٌ من مقاماتِ التوازنِ الروحي، حيث يصبحُ الإنسانُ مظهرًا من مظاهرِ الحكمة والرحمة، ويتحوّلُ الوجودُ إلى مرآةٍ للجمالِ الإلهي. وفي قلبِ هذا التصورِ، تحتلُ البيئةُ مكانةً جوهريّةً، لا باعتبارها خلفيةً ماديةً لحياة الإنسانِ، بل بوصفها شريكةً في الرحلة، وروحًا ناطقةً بلغة الله.

وفي الرؤية الصوفية، خصوصًا في التصوف الكسنزاني، الطبيعة ليست جمادًا، بل هي كائنٌ حيٌّ، يذكرُ الله بطريقته، ويشاركُ في تسبيح الخالق كما قال تعالى: "وإن من شيء إلا يسبح بحمده". هذا الفهم العميق يجعلُ من البيئة أمانة مقدسة في عنق الإنسان، لا يمكن استغلالها بأنانية أو تخريبها بجشع، لأن كل شجرة، وكل نهر، وكل نسمة هواء، إنما تحمل أثرًا من آثار الحق، وتجلّيًا من تجليات أسماء الله الحسنى.

والمدينة الفاضلة في الفكر الكسنزاني هي صورة متكاملة للسلام الكوني، ولا يتحقق فيها الصفاء الروحي إلا إذا انعكس على العلاقة مع الأرض، والماء، والسماء. فكما يتطهّر الإنسان من أدران الكبر والحسد والجهل، ينبغي له أن يطهر محيطه من التلوث، والجشع، والانفصال عن

الطبيعة. المدينة الفاضلة لا تعرف الفقر الروحي، ولا الفقر البيئي، بل تسعى إلى الوفرة المباركة: وفرة القيم، والثمار، والماء، والمحبة.

وحين يتأمل السالك الصادق في الكون، يرى فيه كتابًا مفتوحًا، ودليلاً على عظمة الخالق، فالأشجار تصبح أعمدة لبيت الذكر، والجبال شهودًا على الثبات، والماء هو سر الحياة، كما هو سر الطهارة. وحين يُساء إلى هذه العناصر، فإن المدينة تفقد طهرها، ويبهت نورها، ويضعف صوت الروح فيها. لذا، فإن حماية البيئة ليست واجبًا قانونيًا فقط، بل هي عبادة قلبية، وسلوك عرفاني، ومظهر من مظاهر السير والسلوك إلى الله، وفي المدينة الفاضلة، لا يُبنى العمران على حساب الأشجار، ولا تُقام المصانع على حساب الأنهار، بل هناك توازن مقدس بين الحاجة والنقاء. كل شيء موزون، كما في قوله تعالى: "وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ". فالمجتمع الفاضل هو من يضع ميزان الرحمة قبل ميزان الربح، وميزان الحياء قبل ميزان الاستهلاك، وميزان السكينة قبل ميزان الضوضاء.

ولقد علّمنا مشايخ الطريقة العلية القادرية الكسنزانية أن السير إلى الله لا يكون فقط في الزوايا والخلوات، بل يكون في حسن التعامل مع الناس، ومع المخلوقات، ومع البيئة. فالأرض بيت الله، والعباد ضيوف، ومن آذى ضيفًا أو خرّب بيتًا، فقد انقطع عن أدب الحضرة. وكما أن الأرواح تطلب الصفاء والذكر، فإن الأرض تطلب العدل والرحمة، وفي النهاية، فإن المدينة الفاضلة التي نرجوها ليست بعيدة، إنها قريبة من القلوب التي طهرت نواياها، ونقّت بصائرها، وأيقنت أن لا سلام في الداخل من دون سلام في الخارج. ومن دون بيئة نظيفة، خضراء، مزدهرة، لا يمكن للروح أن تحلّق، ولا للعرفان أن يستقر، ولا للإنسان أن يبلغ مقام القرب. فهنيئًا لمن جعل من الحفاظ على البيئة جزءًا من عبادته، ومن المدينة الفاضلة رؤيته، ومن التصوف والعرفان والطريق الكسنزاني سلماً للسمو والارتقاء.

وما المدينة الفاضلة إلا مرآة لقلب عارف بالله، متصل بالأرض، متوجه
إلى السماء.
وصلّى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى
آله وصحبه وسلم تسليماً..

الباب السابع: المقال الرابع (البناء والعمران الحضاري المتوازن)

في قلب كل حضارة حقيقية يكمن توازنٌ بين المادة والروح، بين الحجر والنور، بين المدن التي تُبنى والقلوب التي تُهذب. فالعمران الحقيقي ليس مجرد ارتفاعات هندسية، ولا تجمُّعات إسمتية، بل هو انعكاس لروح الإنسان ومرآة لقيمته وقدرته على تحقيق الانسجام بين ما بينه في الخارج وما يزرعه في داخله. ولقد خلق الله الإنسان ليكون خليفةً في الأرض، قال تعالى: "إني جاعل في الأرض خليفة" (البقرة: ٣٠)، وهذا الاستخلاف يوجب عليه أن يبني لا أن يهدم، أن يُعمر لا أن يُفسد. أن يقيم صروح الخير والعدل، لا معابد الجشع والغرور. وعليه، فإنَّ البناء والعمران الحضاري المتوازن لا يتحقق إلَّا إذا تأسس على قاعدة من الإيمان، والعقل، والوجدان، والخير المشترك. وإنَّ الحضارات التي انفصلت عن روح الإنسان، وسارت في طريق التشييد دون تهذيب، سقطت تحت ركام نفسها. كم من مدينة عظيمة سُيّدت، لكنها ما لبثت أن تهدمت لأنها افتقرت إلى القيم! وكم من قرية صغيرة بقيت لأنها حملت في داخلها روح المحبة والتسامح والتعاون! وهنا تتجلى الحكمة الصوفية العميقة التي تقول: "كل عمران بلا وجدان خراب مقنع".

والطريقة العلية القادرية الكسنزانية، حينما تتحدث عن "العمران"، فإنها لا تراه فقط في القباب والمآذن، بل في نقاء القلب، وسعة الصدر، وطهارة النية، وخدمة الخلق. فالإعمار عندها يبدأ من الداخل، من إصلاح النفس، ومن تهذيب الأخلاق، ومن محبة الخلق لوجه الخالق، وهذا ما أكَّده السيد الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان (حفظه الله) حين قال: "الأمة التي تبني القلوب قبل الجدران، وتزرع النور قبل الحجر، هي أمة لا تموت".

والعمران الحضاري المتوازن يتطلب عدالة اجتماعية، احترامًا للبيئة، ومشاركة مجتمعية، وإدارة حكيمة للموارد. فإله سبحانه وتعالى قال: "ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين" (القصص: ٧٧)، والعمران القائم على التبذير أو الترف أو استعباد الإنسان للإنسان، هو فساد مهما بدا براقًا. وإنّ بناء المستشفيات لا يغني عن الرحمة، وإنشاء الجامعات لا يغني عن الحكمة، وتأسيس المدن لا يغني عن الأمن الروحي، وفي التاريخ الإسلامي شواهد مشرقة على هذا التوازن: فالمدينة المنورة لم تكن مجرد مبانٍ، بل كانت مشروعًا حضاريًا متكاملًا فيها المسجد والتكية، والسوق، والمكان العام، والمهاجرون والأنصار، والأخوة، والعدل، والعبادة، والعلم. وكانت رمزًا لعمران الروح والمكان، والمتصوفة، لا سيما في التجربة الكسرنائية، كانوا ولا يزالون دعاة بناء حقيقي. بينون النفوس على الصدق، والمجتمعات على التكافل، والمزارع على البركة، والمنازل على الذكر، والمؤسسات على الإخلاص. فهم يرون أن كل طوبة تُوضع بلا نية صافية، هي عبء على الأرض، لا عون لها، إنّ الحضارة التي نطمح إليها ليست تلك التي تتباهى بناطحات السحاب، بل تلك التي تتفاخر برفعة الإنسان. إننا بحاجة إلى "هندسة روحية" تسبق الهندسة المدنية، إلى مهندسين للقلوب، كما نحتاج لمهندسي المعمار، ومن هنا، فإنّ بناء الحضارة المتوازنة، هو دعوة كونية إلى العودة للإنسان، للروح، للصفاء، للتجرد من الأنانية، والرجوع إلى المحور الأول إله. كما قال جل جلاله: "وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقًا" (الجن: ١٦)، أي أن استقامة السلوك تؤدي إلى فيض البركة، والعمران، والاستقرار.

وختامًا، إنّ البناء الذي لا يتغذى من الروح، هو هشّ مهما بلغ من الصلابة، والعمران الذي لا يسكنه الحب، خواء مهما كان جميلًا. فلنبن ما يرضي الله، ويخدم الإنسان، ويحترم الأرض، ويعانق السماء، ونردد دائمًا مع السالكين:

"يا رب، اجعل لنا في كل حجرٍ ذكرى، وفي كل عمارَةٍ رحمة، وفي كل مدينةٍ سلامًا، وفي كل قلبٍ نورًا".
وصلّى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى
آله وصحبه وسلم تسليمًا..

الباب السابع : المقال الخامس (الاستدامة رؤية قرآنية كسنزانية)

الاستدامة ليست مجرد مفهوم بيئي أو اقتصادي مستحدث، بل هي رؤية وجودية متجذرة في عمق الوحي الإلهي، وتجلّ من تجليات الحكمة الإلهية التي تنظم العلاقة بين الإنسان والكون والحياة. في القرآن الكريم نجد الأسس التي تُرسي مبدأ الاستدامة على المستوى الروحي، العقلي، والعملي، وتُعزّز هذا الفهم العرفاني الصوفي العميق، كما هو واضح في الرؤية الكسنزانية، التي تمزج بين شريعة السماء ومرايا الروح، وبين ظاهر الكون وباطن الإنسان.

والقرآن يحدثنا بلغة متوازنة بين التكليف والتشريف. فالإنسان مستخلف في الأرض: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]. والخليفة ليس متسلطاً، بل أمينٌ على الأمانة الإلهية: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، والأمانة تشمل الروح والعقل والجسد، كما تشمل الأرض وما فيها. فالاستخلاف يتطلب عمارة لا فساداً، وتزكية لا استهلاكاً جائراً. وهذه هي الروح الحقيقية للاستدامة في ميزان الله، وإن الرؤية الكسنزانية، المرتبطة بالتصوف القادري العميق، ترى أن الكون ليس مادة صماء تُستغل، بل كائن حيّ له روح، تسبّح وقلب يعبد وجسد يسجد، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤]. وبالتالي، فالتعامل مع الموجودات لا يكون من منطلق المنفعة فقط، بل من منطلق المحبة والتقدير والتفاعل الروحي. وهذا ما يدعو إليه منهج الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، الذي يربّي المريد على احترام كل شيء، حتى الحجر والشجر، لأن فيه تجلياً من تجليات الحق سبحانه، ومن مظاهر الاستدامة القرآنية أيضاً، دعوته للاعتدال

في كل شيء: ﴿وَكُلُّوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١]، فالاعتدال ليس فقط في الأكل، بل في التصرف في الموارد، وفي استهلاك الطاقة، وفي التعامل مع الماء، بل وحتى في الفكر والعاطفة.

والتصوف الحقيقي، كما في المدرسة الكسنزانية، هو تدريب النفس على الاقتصاد في الحركة، والتوازن في الرغبة، والانضباط في السلوك، فلا تفرط ولا تسرف، بل تكون وسطاً ربانياً، والاستدامة في القرآن ليست منعزلة عن القيم الروحية، بل هي مرتبطة بالإيمان العميق بأن الإنسان مسؤول، محاسب، وأنه لا يترك سدى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]، لذلك نجد في التصوف الكسنزاني دعوة إلى "الرياضة الروحية" لا لتحصيل الكرامة، بل لتحقيق المسؤولية الكاملة تجاه النفس والكون. فكما أن المريد لا يهمل قلبه، لا يجوز له أن يهمل الشجرة التي تظله، أو الأرض التي تزرع، أو الهواء الذي يتنفسه. كل ذلك أمانة من الله، وقد قال حضرة السيد الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان القادري الحسيني حفظه الله: "لا معنى للتصوف إن لم يُثمر وعياً للكون، ورقّة في التعامل مع كل المخلوقات، وحرصاً على سلامة الأرض التي نمشي عليها."

وهذا تلخيص عميق لمفهوم الاستدامة الصوفية: فالرقي الروحي لا ينفصل عن السلوك العملي، ولا تنفصل خلوة القلب عن خدمة الحياة، وإننا في زمن أحوج ما نكون فيه إلى قراءة قرآنية عرفانية لمسألة الاستدامة، تعيد الإنسان إلى مركزية الخلق، لا باعتباره سيداً مستبدّاً، بل خادماً أميناً. وهذه هي الرسالة التي تتبناها الطريقة الكسنزانية، حيث تندمج المعرفة القرآنية مع شهود الروح، فيثمر ذلك سلوكاً راقياً، وبيئة متزنة، ومجتمعاً متماسكاً، وسيراً نحو الله لا ينسى خلقه.

والاستدامة (في ميزان القرآن والتصوف الكسنزاني) هي عبادة شاملة، تبدأ من القلب وتنتهي بالكون، وهي مسؤولية لا تنتهي بانتهاء الإنسان، بل

تمتد إلى ذريته، وإلى مصيره الأخروي، لأن من يفسد في الأرض، لا يفسد شجرها فقط، بل يطفئ نور روحه.

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]. والله المستعان على من أراد وجهه.

وصلى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً..

الباب السابع: المقال السادس (براعة التوظيف في التنمية)

التنمية ليست مجرد مشاريع وبُنى تحتية، بل هي في جوهرها توظيف حكيّم للقدرات والطاقات، وإدارة متوازنة للموارد والبشر، تركز على بصيرة روحية ووعي شامل بأولويات المجتمع واحتياجاته. وعندما نضع التوظيف في قلب عملية التنمية، فإننا نتحدث عن استثمار الإنسان، لا فقط في مهاراته، بل في روحه، وضميره، وفكره، وإن المجتمعات التي تُحسن توظيف طاقاتها البشرية هي المجتمعات القادرة على تحقيق التنمية المتوازنة والمستدامة، بينما المجتمعات التي تهدر مواهب أفرادها وتهتمش قدراتهم، فهي تفقد أثمن ما تملك.

التوظيف ليس مجرد إحالة إلى وظيفة أو تكليف إداري، بل هو فنٌّ من فنون العدل والتوازن والرحمة. وقد علّمنا التصوف الكسنزاني، بأن الإنسان لا يُقاس بكم يملك، بل بكم يعطي، ولا بمكانته الاجتماعية، بل بقدرته على النهوض بغيره، وإشراك قلبه في كل ما يؤديه من دور.

فبراعة التوظيف في المنظور الروحي الكسنزاني تعني أن نضع الإنسان المناسب في المكان الذي يتجلى فيه نوره، لا في الموقع الذي يرضي مظهره، وإننا بحاجة إلى توظيف من يفكرون بروح الجماعة لا بأنانية الذات، من يعملون بتجرد لا بمنفعة، من يحملون في قلوبهم الرحمة لا الغلبة. فهؤلاء هم مفاتيح النهضة، وهم أدوات الله في عمران الأرض، وقد جاء في الحديث الشريف: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"، وهذا يُحملنا مسؤولية كبرى في التمكين العادل لكل فرد بحسب عطائه وإخلاصه لا بحسب انتمائه أو وساطته، وفي التجربة الكسنزانية، نلاحظ كيف يتم الاهتمام

بالإنسان من حيث كونه قلباً نابضاً لا رقماً إحصائياً، وكيف تُصاغ المهام بحسب القابليات الحقيقية، لا بحسب المجاملات.

وهذا منهج روحي تربوي يمكن أن يُحدث فرقاً كبيراً في المجتمعات إذا نُقل إلى المجال التنموي العام، وبراعة التوظيف تبدأ من حسن الفهم للنفس البشرية، فكل إنسان فيه كنز، ولكن لا يُكشف الكنز إلا لمن يعرف طريقه إليه. وهنا يأتي دور القيادة الواعية والإدارة الرحيمة التي تستلهم البصيرة من الروح، وليس من القوانين الجافة فقط، وفي هذا الإطار، تصبح التنمية فعل حب، وفن احتواء، ورحلة إبداع تشاركي، يتقدّم فيها المجتمع بأقدام أفرادهِ جميعاً، لا بأكتاف فئة دون أخرى، وختاماً، فإن التوظيف إذا لم يكن فعلاً روحياً، فسبقى ناقصاً مهما بلغ من التنظيم والدقة، لأنّ الروح هي التي تُحيي النظام، وهي التي تمنح العدالة معناها، والتنمية روحها الحقيقية، ومن لا يُحسن التوظيف، لا يُحسن البناء، ولا يُقيم العدل، ولا يحقق التنمية التي تبقى وتثمر عبر الأجيال.

وصلّى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا..

الباب الثامن: العبقريّة والنورانية

(العبقرية ومضة من النور الإلهي، لا يسكنها الغرور، بل تسجد في محراب التواضع، وكل عبقرٍ صادق تبقى النورانية تاجاً على رأسه)

الباب الثامن: المقال الأول (العبقرية والعطاء الروحي)

العبقرية لم تكن مجرد نبوغ عقلي أو تفوق معرفي، بل هي ذلك الشعاع الإلهي الذي يتجلى في القلب قبل الفكر، ويظهر في السلوك قبل القول. العبقرى الحقيقي هو من ارتقى بروحه حتى أصبحت مرآة للأنوار، لا مرآة للأنسا.

وفي المدرسة الروحية الكسنزانية، تُفهم العبقرية على أنها هبة من الله، لكنها لا تكتمل إلا إذا تزينت بالعطاء، وإلا تحولت إلى استكبار داخلي أو فتنة ظاهرية. فالعطاء هنا ليس مادياً فقط، بل هو عطاء وجودي وهو أن تعطي من وقتك، من علمك، من محبتك، من نور قلبك، من سكوتك المملوء بالحكمة، ومن كلامك المتشح بالتواضع، ولقد علّمنا أهل الله أن سرّ العطاء ليس في الكمية بل في النية.

في الطريق الكسنزاني، يوجّه السالك إلى أن تكون روحه معطاءة، حتى لو لم يمتلك إلا دعاء خالصاً أو ابتسامة تواسي بها مكسوراً. فالعبقرية الروحية ليست أن تملك، بل أن تُفهم الوجود أنك لا تملك شيئاً، وأنتك مجرّد وعاء يسري فيه الفيض، وناقل للأسرار لا مالك لها.

ومن الأدلة على هذا المفهوم العرفاني، ما ورد في الحديث القدسي "يا عبدي، أنا لك محب، فبحقي عليك كن لي محباً." وهنا يُفهم أن الله، وهو صاحب العطاء المطلق، يدعو عبده لمبادلتة المحبة، لا بالقول فقط، بل بالفعل، والعطاء، والبذل، ويقول السيد الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله سره "كن معطاءً، ولو بكلمة طيبة، فإنك لا تدري متى تُفتح لك أبواب السماء."

وهذا النداء الروحي يتردد في أرجاء الطريقة الكسنزانية، حيث نُرَبَّى على أن العبقريّة ليست في أن نكون مختلفين عن الآخرين، بل في أن نخدمهم، ونضّيء لهم دروبهم، ونعينهم على أنفسهم، حتى لو كانوا لا يرون ذلك، والسيد الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان القادري الحسيني (حفظه الله) مثال حي على هذا الدمج بين العبقريّة والعطاء، فهو رجل امتلك نور الفهم، لكنه لا يتحدث به للرياء، بل يسلك به سبيل التواضع، ويمنح بفيضه من يطلب، ويستجيب لمن يسأل، ويعفو عمّن أساء. عبقريته لا تكمن فقط في الفكر، بل في احتضانه للأرواح، في تفقده للقلوب، وفي قدرته العجيبة على بث الحياة في من يوشك على الإنطفاء.

ومن لطائف العرفاء أن العبقري الحقيقي هو الذي يجعل من حضوره طمأنينة، ومن كلامه طريقاً، ومن روحه جسراً يعبر به الناس من هم الحياة إلى سكينّة اليقين، والعبقريّة الروحية لا تُقاس بالشهادات، بل بالشفافية، بالحضور، بالصدق، بالسكينّة، بالتفاعل مع آلام الناس، بمدّ الجسور بين القلوب. أما العطاء، فهو لغة الأرواح الراقية، التي تؤمن أن كل ما يُمنَح لوجه الله، يعود نوراً على الروح، وسكينّة في القلب، واتصالاً أعمق بالحضرة الإلهية، وهكذا فإن من جمع بين العبقريّة والعطاء، فقد لبس حلة الولاية دون أن يدري، وسار في طريق العارفين، وإن لم يُطلق عليه الناس اسم ولي.

وفي الطريق الكسنزاني، ندرك أن كل عبقريّة لا تنتهي بالعطاء، فهي قيد النفس، لا حرية الروح. وكل عطاء لا تصحبه الحكمة، فهو رياء الجوارح لا

إشراق القلب، فالسر كل السر: أن تكون عبقرياً بروحك، معطاءً بقلبك،
صادقاً بنيتك، مخلصاً في طريقك، كسنانياً في محبتك.
وصلى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى
آله وصحبه وسلم تسليماً..

الباب الثامن: المقال الثاني (الفراصةُ بصيرةُ القلوب)

الفراصةُ تكونُ بنظرةِ العينِ، وإشراقِ القلبِ في أنٍ واحدٍ، وإنَّها نورٌ إلهيُّ يقذفهُ الله في قلوبِ المؤمنينَ من أوليائه الصالحينَ، تكشفُ لهم حقائقَ الأمورِ خلفَ ستارِ الصورِ، وتمنحهم بوصلةً لا تخطئُ الاتجاهَ حينَ تتيهُ العيونُ في ظلماتِ الظنونِ. قال النبي سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم "اتقوا فراصةَ المؤمنِ، فإنَّه ينظرُ بنورِ الله" [رواه الترمذي]. وهذا الحديثُ النبويُّ الشريفُ ليس مجردَ إشارةٍ لغريزةٍ أو ذكاءٍ فطري، بل هو بيانٌ صريحٌ بأنَّ المؤمنَ الحقَّ، إذا صفا قلبه، وشربَ من عينِ الذكرِ، وانغمسَ في بحرِ الإخلاصِ، رزقه الله نورًا يرى به ما لا يُرى، ويدركُ ما لا يُدركُ بالحواسِ، والفراصةُ بهذا المعنى هي بصيرةٌ روحيةٌ، تنبعُ من صفاءِ القلبِ واتصاله بالمصدرِ الأعلى للنور. قال تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [الحجر: ٧٥] أي للمتفكرين المميزين ببصيرة الفطرة ونور الإيمان، فهم يرون الآيات لا بعين الرأس فقط، بل بعين القلب.

وفي الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، تُغذى الفراصة بتربية روحية عالية، حيث تُهذب النفس، وتُصفى القلوب بالأوراد والأذكار، وتُنقى السرائر بالخلوات والمجاهدات، حتى تنكشف للمريد آفاق لا تراها عيون الغافلين، ولقد كان أئمة التصوف، ومنهم أقطاب السلسلة الكسنزانية، مشهودًا لهم بهذا النور، يعرفون أحوال الناس بلا سؤال، ويقرأون القلوب كأنها كتاب مفتوح. فإذا دخل أحدهم على الشيخ، رآه الشيخ بنور الفراصة قبل أن يتكلم، فيأمره أو يرشده أو يحذره، كأنه يعرفه منذ زمن بعيد، قال السيد الشيخ عبد القادر

الكيلائي قدس سره "المؤمن ينظر بنور الله، فإذا أخلص العبد في توكله ورجائه وخشيته، كشف الله له عن باطن الناس كما يكشف القمر عن الظلام." والفراصة في بعدها الروحي ليست أداة لحكم الناس، بل وسيلة للرحمة بهم، وفهم ضعفهم، والتماس الخير فيهم. فهي ليست شهوة سيطرة، بل رحمة هادئة، تنقذ الغارق، وتداوي المتألم، وتكشف الزيف عن الحقيقة، دون ضجيج، وقد ورث مشايخ وخلفاء الطريقة الكسنزانية هذا السر الروحي، لأنه لا يُكتسب بالعلم فقط، بل يُمنح لمن صفا قلبه، وصدق مع الله، وسار في الطريق بنور الإخلاص. وقد شهد الكثير من المريدين كيف أن مشايخ الطريقة يعلمون ما في صدورهم، ويوجهونهم بما لا يعرفه غيرهم، دلالة على فراصة ربانية لا تقترب منها الظنون، وإنها بصيرة من وراء الحجب، لا تفهم إلا إذا دُقت، ولا تُصدّق إلا إذا اختبرت. هي مقام من مقامات النور، لا يصل إليه إلا من خلع عن قلبه غشاوة الدنيا، ولبس لباس الفناء في الله.

ولهذا قال ساداتنا الصوفية قالوا "إذا صحت الفراصة، نطقت الحقيقة." وما الفراصة الكسنزانية إلا إشراق من حضرة الروح، يُكرم به الله من أحب، لتكون عوناً في الإرشاد، وهداية في الطريق، ونوراً في ظلمات هذا الزمان، فطوبى لمن رزقه الله بصيرة القلب، وجعل له من نوره سراجاً يمشي به في الناس، لا يضل ولا يشقى.

وصلّى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا..

الباب الثامن: المقال الثالث (نورانية الفكر والسلوك)

في عالم تزداد فيه الظلمات الفكرية والانحرافات السلوكية، تبرز الحاجة إلى الفكر النوراني والسلوك المهدّب كحاجة الروح إلى الماء، وكحاجة القلب إلى الأمل، وكحاجة الإنسان إلى معنى وجوده. إنّ النورانية ليست حالة عابرة، بل هي مقام من مقامات القرب من الله، تتجلى في الفكر الصافي، والسلوك المضيء، والخلق الرفيع، والتعامل المحب مع الخلق. والفكر النوراني هو ذاك الذي لا يخرج من مشكاة الأنا، بل ينبثق من نور الله، ويتغذى على بصيرة المحبة، ويستضيء بأنوار الحكمة. يقول الله تعالى ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]، فمن أراد أن يكون فكره نورانياً، فعليه أن يتصل بمصدر النور، ويستقي من فيض الإلهام الرباني، ويتحرر من ظلمات الجهل والهوى والكراهية، ليحيا في مدار المحبة والسلام.

وأما السلوك النوراني، فهو ثمرة الفكر النوراني، وهو الامتحان العملي للروح، هل بلغت النور أم ما زالت في التيه؟ السلوك النوراني هو التواضع في العز، والصدق في المحنة، والإيثار في وقت الحاجة، والحلم عند الغضب، والإحسان مع من أساء. يقول النبي سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم "إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، فكل سلوك لا يُفضي إلى تهذيب النفس وتهذئة الأرواح لا يُنسب إلى النور، بل إلى الأهواء التي تلبس الباطل لبوس الحق، والتصوف الكسنزاني، بما فيه من أسرار السلوك الروحي والتزكية العميقة، يُعد من أرقى المدارس التي تزرع في القلب بذرة النور، وترويه بماء الذكر، وتسقيها بتربية المشايخ الصالحين.

ففي رحاب الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، يُصقل المريد بصمت الذكر، ويتطهر بأنفاس الحضرة، ويُعاد تشكيل وعيه في حضرة شيخ عارف بالله، يرى بنور الله، ويهدي إلى الله بنور البصيرة، ويقول أهل السلوك: "لا نور في السلوك دون شيخ نوراني، ولا صفاء في الفكر دون صحبة طاهرة"، فالصحبة الصالحة هي التي تنقل الإنسان من عالم الظلال إلى عالم الأنوار. كما قال سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس سره "كن مع الله، يكن كل شيء معك، وأطفئ نارك بنوره". ولقد كان سلوك حضرة السيد الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان القادري الحسيني مثلاً ساطعاً للفكر النوراني والسلوك المتجذر في الإشراق، حيث تتجلى في كلماته البصيرة، وفي صمته الدلالة، وفي توجيهاته نوراً يهدي الحائرين ويطمئن السالكين. فهو لا ينطق إلا بما يُنير العقول، ولا يفعل إلا ما يُهذب النفوس، ولا يدعو إلا إلى الله بحكمة ورحمة وسكينة.

والفكر النوراني لا يتكبر، لا يحقد، لا يعادي، لا يُظلم، بل يُحب ويعفو ويُسامح ويُصلح ويتسم في وجه الحياة. والسلوك النوراني هو أن تعيش لله، وأن تتعامل مع الناس كما تحب أن يتعامل معك الله، برحمة، بلطف، بستر، وبكرم عطاء، وما أحوجنا اليوم، في زمن الضجيج والضلال والتهيه، إلى أن نعود إلى صفاء النور، إلى حقيقة السلوك النوراني، إلى حضرة تُشبه الفجر في إشراقها، والزمزم في طهرها، والأنبياء في سلوكها، فلتكن أفكارنا نوراً يبدد الجهل، وسلوكنا سراجاً يُنير دروب الناس، ولنترك وراءنا بصمة روح لا تُنسى، ونقش قلب لا يُمحى، وتاريخاً من نورٍ في عالمٍ متعطش إلى معنى قال تعالى ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الكهف: ١١٠]، والعمل الصالح لا يُقبل إن لم يكن مصحوباً بفكرٍ نير وسلوكٍ طاهر، اللهم اجعلنا من أهل النور، في الفكر والسلوك، في القول والعمل، في السر والعلانية، في الحياة والممات.

اللهم اجعلنا من السالكين على درب أوليائك، وعلى خطى الصالحين،
تحت راية الحبّ والإرشاد، راية الطريقة العلية القادرية الكسنزانية.
وصلّى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى
آله وصحبه وسلم تسليماً..
والحمد لله ربّ العالمين.

الباب الثامن : المقال الرابع (خوارق العادات بين الكرامة والادعاء)

في تاريخ البشرية الممتد، ظلت خوارق العادات (كطي الأرض، والإخبار بالمغيبات، وشفاء المرضى والعقم، وإحياء الأرواح، وتسكين العواصف، وجلب الأرزاق، وغير ذلك مما يعجز العقل عن تفسيره، محل جدل دائم بين من يؤمن بها ويوقن بوجودها كعلامة على القرب الإلهي، وبين من ينكرها ويصنفها ضمن الخيال أو الخداع أو الشعوذة. غير أن النظرة العرفانية النورانية، ولا سيما في مدرسة التصوف الكسنزاني القادري، تُميّز بدقة بين الكرامة الصادقة، والادعاء الزائف، وتربطها بصفاء السر، لا بمظاهر القوة، والكرامة، كما يفهمها أهل الله، هي أمرٌ خارقٌ للعادة، يجريه الله على يد عبدٍ صالح، لا بقصد التحدي ولا لإثبات نفسه أمام الناس، بل ابتلاءً له ورفعاً لمقامه، أو رحمةً بالخلق. قال الإمام الجنيد "الكرامة هي أن يكرمك الله بالاستقامة، لا أن تطير في الهواء". فمن ظهرت عليه كرامات، ولم يحفظ قلبه من العجب والكبر، فقد فُتن بها، لا ارتقى بها. وقد نقل الإمام القشيري في "رسالته القشيرية" أن الكرامة لا تُطلب، ولا يُسعى إليها، بل تأتي تبعاً للاستقامة في الظاهر والباطن. وأكد الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس سره، أن الكرامة الحقيقية هي "كرامة المعرفة، ودوام الطاعة، والصبر على البلايا، وصدق التوجه"، أما خوارق العادات المجردة، ف"قد تكون استدراجاً إذا خلت من التزكية".

وفي هذا المجال، تبرز الطريقة العلية القادرية الكسنزانية بوصفها مدرسة ربانية، تُعلم المريد كيف يفرّق بين الوهب الإلهي والطلب النفسي. فهي لا تُعنى بالخوارق من حيث هي هدف، بل تراها ناتجاً طبيعياً للسير في طريق

التزكية والصدق والخلوة والذكر، وكل من دخل هذا الباب لأجل كرامة، فقد أغلقت عليه أبواب الرحمة. والكرامات التي ظهرت على أيدي مشايخ هذه الطريقة المباركة، بدءًا من حضرة السلطان الخليفة محمد محمد الكسنزان قدس سره، إلى حضرة السيد الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان القادري الحسيني حفظه الله، لم تكن يومًا أداة استعراض أو رياء، بل تجليات نُورانية وواقعية لمقام الفناء في الله والبقاء به، وخدمة الخلق.

والفرق بين الكرامة والادعاء يتجلى في النية، والمقام، والنتيجة. فالكرامة يُرافقها التواضع، ويعمّ نفعها، وتزيد صاحبها قربًا لله وخوفًا منه. أما الادعاء، فهو ما ينطق به اللسان، ويفعله الإنسان طلبًا للسمعة أو الجاه أو المال. وقد قال الإمام الشافعي: "إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء، فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة"، زإن العالم اليوم، وهو يواجه فتن الظاهر وغرور التكنولوجيا، بحاجة إلى أنوار الصدق، لا بهرجة الأوهام. فكم من أدعياء خوارق أغرقوا الناس في التعلق بالشكليات، وكم من أولياء ربّانيين خفوا عن العيون، لكن الله أظهر نورهم في قلوب الصادقين. وأشدّ ما يكون الانحراف حين تُتخذ خوارق العادات وسيلة للتسلط أو الإغواء، لا طريقًا للتزكية الروحي، وفي المدرسة الكسنزانية، يُربّى السالك على أساس يقظة القلب، وصفاء السر، والصدق في المحبة، والطاعة الخالصة لله.

وبهذا الفهم العرفاني، لا تكون الكرامة دليلًا على الولاية فحسب، بل ثمرة طبيعية لصدق السير في طريق الله، أما من أدعى كرامة ولم يُر له أثر في العمل الصالح أو خُلُق التواضع، فهو مدّع لا صاحب كرامة، ولقد جاء في القرآن الكريم عن أصحاب الكرامات ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧]، وهي مريم عليها السلام، التي كانت تأتياها فواكه الصيف في الشتاء، والشتاء في الصيف، وهي كرامة، لكنها ما طلبتها، ولا ادّعتها، بل ظهرت عليها في مقام الطاعة والذكر والتبتل، وورد

عن النبي سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أن رجلاً من أمتة يُسيرُ في الظلمات بنور الله، لا لشيء سوى إخلاصه.

فخوارق العادات ليست محصورة بالأنبياء، بل يُجريها الله على أيدي أوليائه متى شاء، لكن المقياس الثابت هو الصدق، والنفع، وغياب الادعاء، فالكرامة إذن ليست غاية، بل وسيلة تابعة لمقام. وأهل الله، لا يُعلّقون قلبهم بها، ولا يسألونها، بل يسألون الثبات والاستقامة، ويخافون من أن تكون استدراجاً لا كرامة. كما قال أحدهم: "ربما تكون الكرامة حجاباً لمن لم يفهم، وعطيةً لمن صدق". وبهذا يتّضح أن خوارق العادات لا تُثبت ولاية، ولا يُنكر بها على الأولياء، ولا يُغتَرّ بها حين تظهر، ولا يُنكرها حين تخفى، فميزانها هو ميزان الله: التقوى، والنية، والصفاء. والطريق الكسرتاني يعلمنا أن "أعظم الكرامات: قلبٌ لا يغفل، ولسانٌ لا يكذب، وسِرٌّ لا يخون، وخُلُقٌ لا يتبدّل". فطوبى لمن كانت كرامته استقامة، وادّعاؤه توبة.

وصلى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً..

الباب الثامن: المقال الخامس (الأمثال الشعبية وحكمة الأجداد)

الأمثال الشعبية ليست مجرد عبارات تُداول بين الناس، بل هي اختصارٌ لحكمة التجربة ونتائج التأمل، وجوامعُ كلامٍ تفيضُ بمعاني العرفان، وتشعُّ من بصائرِ أناسٍ عصرتهم الحياة وعاشوا في كنفِ الفطرة الصافية والوجدان النقي. هي تراثُ الأجداد، لكنها عبارةٌ حيّةٌ تسري في ضمير الأمة، تتفاعل مع الحاضر وتوجه السلوك. وهي في التصوف الكسنزاني قبسٌ من نور البصيرة، وتعبيرٌ عن الفطرة المتصلة بالحق، وحين نقول: "اللي ما يعرف الصقر يشويه" فإننا لا نصفُ الجهلَ فقط، بل نحذّرُ من خطورة تجاهل المقامات، وتضييع المقامات، وهي دعوةٌ ضمنيةٌ لتوقير أهل العلم والفضل، كما يفعل المريد مع شيخه، والتلميذ مع وارث السر، فإن لم تعرف مقام الولي، أهنتَ ما لا يُهان، وأحرقتَ جوهرةً لا تُقدّر بثمن، وفي مثل آخر: "الجار قبل الدار" نسمع صدى الوصية النبوية، وروح الإيثار، وكأن المثل لا ينطق من لسان عامي، بل من قلب وليٍّ يُحب للناس ما يحب لنفسه، ويجعل المودة فوق المصلحة، والجوار فوق الجدار.

التصوف يعلمنا أنّ الجوار ليس قربًا مكانيًا فقط، بل هو قرب وجداني روحي، كما في مجالسة الأولياء والصالحين، فالصحبة تنقي النفس، كما ينقي العطر يد من يحمله، "ما يضيع حق وراه مطالب"، حكمة تحفر في القلب الإيمان بالعدل الإلهي، فمهما طال الليل، لا بد للفجر أن ينبثق، ومهما ضاعت الحقوق، فإن صاحب الحق لا بد أن يُنصر. وهذا يقودنا إلى سر الثقة بالله عند الصوفية، تلك الطمأنينة التي تجعلهم ثابتين كالجبل، واثقين بأن

الحق لا يموت، وإن صمت الجميع، "اتبع الكذاب للباب"، ليس دعوة إلى تصديق الكذب، بل إلى اختبار القول، إلى المحك، إلى الثبت.

وفي ذلك من روحية السلوك الصوفي ما يدهشنا؛ فالمرید يُعرض على البلاء، ويُجرب في الطريق، ولا يؤخذ الكلام عندهم إلا إذا زكاه الحال، فالصدق عندهم ليس كلمة، بل حال وشهود، وأما مثل: "من طلع من داره قلّ مقداره" فهو جرس تنبيه عن خطورة التخلي عن الأصل، عن الجذر، عن الشيخ، عن الحضرة. فمن فارق حُضن الطريقة، وتاه في سراب الغفلة، قلّ مقامه وانطفأ نوره. وهذا يذكرنا بقول مشايخ الكسنزانية: "المرشد ظل الله في الأرض، فمن ابتعد عنه، ابتعد عن النور." "حكمة الأجداد" لم تكن كلامًا عابرًا، بل كانت تجليًا لحكمة الروح المتصلة بالفطرة، تجارب مقطوفة من شجرة الحياة، مخلوطة بدموع التجربة، وزفرات الوجد، وسكون الليالي. حين كانوا يقولون: "اللي إيدو بالماء مو مثل اللي إيدو بالنار"، كانوا يعلموننا الرحمة والتقدير، والتواضع في الأحكام، فالعاقل لا يحكم على الغير وهو في رخاء، بل يضع نفسه مكانهم، كما علمنا الصالحون من أهل الله.

والمتصوفة الكسنزانية يرون في الأمثال الشعبية تجليات لحكمة الروح الجماعية، لا تنفصل عن معاني التزكية والعرفان. فكل مثل هو ومضة نور، وإشارة في الطريق، ونفس من أنفاس الأجداد الذين خبروا الدنيا، لكنهم ما باعوا الروح بالتراب. وإن الأمثال حين تُتلى في المجالس، تُعش القلب، كما ينعشه الذكر، وتوقظ العقل كما توقظه صحبة الأولياء، وفي الختام، الأمثال الشعبية ليست من الماضي، بل هي من قلب الحاضر، ومن نور المستقبل، فيها حكمة من سبق، وهداية لمن لحق. وما أجمل أن نعيد قراءتها بعيون العارفين، ونسمعها بقلوب المحبين، فنفهمها كما فهمها الأجداد، الذين عاشوا لله، وبالله، ومع الله. وصلى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا..

"المثل كلمة، لكنها مفتاح لقلب الحياة."

الباب الثامن: المقال السادس (براعة الإنسان في الإبداع)

إنَّ الإبداعَ ليس حكرًا على أدواتِ الفنِّ أو مخترعاتِ العلمِ، بل هو قبل ذلك تجلٍّ من تجلياتِ الروحِ، وانبعاثٌ من أعماقِ القلبِ، ولمعةٌ من نورِ البصيرةِ. فبراعةُ الإنسانِ في الإبداعِ ليست فقط في ما يُرى بالعينِ ويُقاس باليدِ، بل فيما يُشعرُ به في حضرةِ الجمالِ، ويُلامسُ بالأرواحِ، ويُترجمُ في الذوقِ والسلوكِ والمعنى.

وحين ننظرُ إلى الإنسانِ من منظورِ عرفاني، نراه كائنًا حيًّا في جوهره، خلُقَ على صورةِ الرحمةِ، ونُفِخَ فيه من الروحِ، فصارَ مستودعًا للأسرارِ، ومجالًا للتجلياتِ، ومرآةً تعكسُ أسماءَ الله وصفاته. هذا الإنسانُ إن ارتقى في مراتبِ المعرفةِ، وتهذَّبَ في محاربِ السلوكِ، وانفتحَ قلبه لنورِ الحضرةِ، صارَ مبدعًا بالمعنى الأعلى، ومبدعًا في محبتهِ، في تفكيره، في صمتهِ، في عطائه، في نظرتِهِ الوجوديةِ.

وفي التصوفِ الكسنزاني، الذي يستمدُّ نوره من حضرةِ النبي سيدنا... محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، ويسلك سبيل المحبة والذكر والخدمة، نجد الإبداعَ ليس رفاهيةً فكريةً أو حالةً طارئةً، بل ضرورةً روحيةً، لأنه تعبير عن التوحيد الوجودي، وعن إدراك عميق بأن كل ما في الكون هو تجلٍّ، وأن الإنسانَ خلُقَ ليشهد هذا التجلِّي، ويكون هو نفسه تجليًّا راقياً لله في خلقه وسلوكه وفعله، والإنسان المبدع في طريق الكسنان لا يفتخر بعقله، بل بتواضعه، لا يتزين بعلمه، بل بذوقه، لا يُعرف بصوته، بل بصمته، لا يُبهر بأفعاله، بل بحضوره. هو الذي يجعل من الذكر إبداعًا، ومن الصبر فنًّا، ومن الإيثار رسالةً، ومن الحبِّ مدرسةً، وقد ضرب لنا أهل

الطريقة العلية القادرية الكسنزانية أروع الأمثلة في ذلك، حيث لا يُنظر للإبداع على أنه ترف عقلي أو موهبة خاصة، بل سلوك منبثق من صفاء السريرة، وصدق التوجّه، ونقاء العلاقة بالله وبالخلق. وهذا ما نراه حيًا متوهجًا في سيرة حضرة السلطان الخليفة محمد المحمد الكسنزان قدس سره، الذي جعل من حياته منارة للإبداع الأخلاقي والروحي، وكانت إشاراته، وصمته، وتوجيهاته مفعمة بالمعاني، كأنها نبعٌ من التجلي الإلهي في صورة إنسان، واليوم، يُكَمِّل المسير خلفه الصالح، السيد الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان دام ظله، حاملاً راية الإبداع الرسالي، موصلاً الروح بالزمن، وممزوجاً بين الأصالة والحداثة، جامعاً بين النور القديم والواقع المتجدد. فهو مبدع لا فقط في رؤيته، بل في قيادته الروحية التي تلامس الأرواح وتوقظ الفطرة.

وهكذا، فإنّ براعة الإنسان في الإبداع هي في قدرته على تجاوز الشكل إلى المعنى، وتخطي المادة إلى الروح، وابتكار الجمال من رحم الألم، واستخراج النور من عتمة الواقع. وهي أن يُصبح الإنسان قلباً نابضاً، ولسان صدق، وظلاً للرحمة، ونقطة وصل بين الأرض والسماء، ومن هنا، فكل من سار على درب المحبة، وذاق من نور الطريقة، وتطهّرت نفسه بنفحات الذكر، صار مرشحاً لأن يكون مبدعاً حقيقياً، لا في حدود العالم، بل في آفاق المعنى قال تعالى ﴿وَصُورَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ، وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [التغابن: ٣] فجعل الجمال الصورة في ظاهرها، والإبداع في جوهرها، وما أروع من ارتقى، فجعل من حياته تجلٍ مستمرٍ للجمال الأزلي.

وصلّى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا..

الباب التاسع: الرسالة العالمية والإرشاد

(الرسالة العالمية نور الرحمة، والإرشاد سلّم الأرواح إلى السلام، فلا حدود للحقّ، ولا وطن للحبّ إلا في قلوب العارفين)

الباب التاسع: المقال الأول (أوراق كسنزانية عالمية)

في عالم يضجُّ بالتناقضات، وتتشابك فيه الطرق، وتضيع فيه البوصلة الروحية، تأتي الأوراق الكسنزانية كنبيض من رحم الحقيقة، وصفحات من نور، تفتح من شجرة عرفانية وارفة الظلال، زرعها الأولياء والصالحين وسقاها أهل الله، وأثمرت معرفة، ومحبة، وسلامًا. ليست أوراقًا من ورق، بل أرواح ناطقة، وحروف متوضئة، تنبض بالحياة، وترشد السالك في درب النور.

وهذه الأوراق تنطلق من المدد الكسنزاني، الذي لا يعرف حدود الزمان ولا جغرافية المكان، لأنها تخاطب الإنسان في جوهره، لا في لونه أو لسانه. إنها رسائل للعالم أجمع، من قلب الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، تمدّ الجسور بين الروح والخالق، بين القلب والحق، بين الإنسان والإنسان. وفي زمن الكثرة الضائعة، والتشظي الداخلي، تُقدم هذه الأوراق لغة جامعة، تتكلم بالحب، وترجم بلغة السلام... هي وثائق روحية، تكتبها أرواح الصادقين، وتقرأ في دواوين الغيب، وتُصادق عليها في محارب أهل الله، لأنها لا تدعو إلى مذهب أو طائفة، بل إلى الله وحده، إلى الحق، إلى الخير، إلى الرحمة التي وسعت كل شيء.

وفي كل ورقةٍ من هذه الأوراق، تجد بصمة حضرة السلطان الخليفة محمد المحمد الكسنزان قدس الله سره، وتوقيع المحبة من سيد الروح، الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان طيب الله انفاسه، الذي حمل الرسالة إلى أقاصي الأرض، لا بالسيف ولا بالسلطة، بل بالكلمة الطيبة، والموعظة الحسنة، والتجربة الصوفية المفعمة بالنور، وهذه الأوراق ليست من صنع البشر، بل من وحي الإلهام، ومن بحر التجليات، تسافر في قلوب العاشقين، تُترجم بلغات العالم، لأن مضمونها أكبر من الحروف، وأقدس من الطباعة، وأقرب إلى الله من كل صراخ عقيم. هي محطات للعارفين، ومفاتيح للباحثين، ومرايا لأصحاب القلوب المستتيرة، ودليلنا الشرعي؟ قال تعالى: "وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ" [فصلت: ٣٣].

وقال رسول الله سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم "الدين النصيحة". وهذه الأوراق، كلها نصيحة، ودعوة، وتزكية، وتربية، وعلم، وحكمة، ومحبة، وسلوك، نعم، إنها أوراق كَسَنَزَانِيَّة عالمية، لا تحبسها رفوف، ولا تقيدها حدود، لأنها تسكن حيث تسكن المحبة، وتُقرأ حيث تُشْتَاق الحقيقة، وتُفهم حين يصمت العقل ويتكلم القلب، فطوبى لمن حملها، وقرأها، وبلغها، وطوبى لمن جعل من قلبه صفحةً بيضاء، تكتب فيها الكلمات النورانية، وتزهر فيها أوراق الكسنزان، اللهم اجعلنا من أهلها، ومن خدامها، ومن السائرين في طريقها.

وصلى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا..

الباب التاسع: المقال الثاني (الأولياء والصالحين أنوار الهداية)

في عتمة الدنيا وتقلباتها، يبقى الأولياء والصالحون مشاعل نور يهتدي بهم السالكين إلى طريق الحق، وتحنو على القلوب المتعبة بعطر اليقين وسكينة الذكر. هم أحباب الله الذين طهروا نفوسهم من الأهواء، وتحزروا من عبودية الدنيا، وامتألت أرواحهم بنور المحبة والخضوع والأنس بالله. من سار على دربهم، لاحت له أنوار المعنى، ومن اقتفى آثارهم، فُتح له باب القلب والسر، لأنهم شهداء القرب، وأهل الوصل، ومن صدقوا فعاشوا لله ومع الله وفي الله.

وفي الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، نجد أن الأولياء ليسوا فقط ذكرى مقدسة، بل حضور حي، ونبض روحي متجدد، ومسار تربوي يزكي النفس ويظهر القلب ويرتقي بالروح. فالصالحون عند الكسنزانية ليسوا أصحاب كرامات تعرض، بل أصحاب حال يذاق، وذوق يُعاش، وسلوك يُقتدى به. إنهم من خلعوا رداء الأنا، ولبسوا نور الفناء، وساروا في مدارج المحبة حتى سجدت لهم المعاني، وتواضعت لهم الأرواح، يقول الله تعالى: "ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. الذين آمنوا وكانوا يتقون" (يونس: ٦٢-٦٣). فهذا هنا تعريف قرآني بليغ، ان الولاية لله، ولا تُنال إلا بالتقوى والإيمان، لا بالمظاهر ولا بالادعاء. فالولي هو من اتقى الله في سره وعلنه، وسلك درب الإخلاص، وذاب في محبة مولاه حتى لم ير لنفسه وجوداً. لذا قال سيدنا رسول الله محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم "إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب" (رواه البخاري). فهي مكانة رفيعة، لا تقبل التزوير، لأن الحق جل جلاله يغار على أوليائه، ويصطفاهم من بين عباده بما

شاء من مواهب وأحوال، وإن الأولياء في التراث الصوفي هم السائرون إلى الله على بصيرة، وهم المربّون، الموقظون للغافلين، السقاة للظمّائين إلى نور، الحافظون للسرّ، المانعون من الضياع، عُرفوا بانكسارهم لا بجبروتهم، وبخمولهم لا بصيتهم، فكما قال أحدهم: "إذا رأيت الرجل يُشار إليه بالبنان، فاعلم أن مقامه قد نُقص". وفي الطريقة الكسنزانية، نرى هذا المعنى يتجلى في سير الأولياء بدءًا من حضرة الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله سره، وصولًا إلى حضرة السيد الشيخ السلطان الخليفة محمد المحمد الكسنزان قدس سره، الذي كان مدرسة في الفناء، بحرًا في العرفان، بابًا إلى الله، بابًا مفتوحًا للرحمة. لم يكن شيخًا بالشكل فقط، بل روحًا تُربّي الأرواح، وسرًا يسري في قلوب العاشقين، ومعلّمًا بالكلمات والأحوال والنفحات. وقد استمرت هذه المدرسة الروحية في نهجها على يد السيد الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان القادري الحسيني قدست اسراره، الذي جعل من الحبّ قانونًا، ومن الرحمة طريقًا، ومن السلوك الروحي غايةً لإصلاح النفوس البشرية والمجتمع، وشواهد الولاية لا تُقاس فقط بالكرامات الظاهرة، بل بالتأثير في الناس، بتهذيبهم، بانتشالهم من ظلمات نفوسهم، بجعلهم عبادًا لله لا عبيدًا لشهواتهم. والوليّ عند أهل الله هو من إن نظرت إليه ذكرت الله، وإن جالسته اشتقت إلى الآخرة، وإن سمعت كلامه تحرك قلبك من سباته. يقول الإمام الجنيد "الولي من كان مشغولًا بالله عن نفسه". وهكذا هم، لا يطلبون من الله سوى الله، ولا يسكنون إلا في محاريب الذكر والأنس والخضوع، وإن في اتباع الأولياء والصالحين حياةً للقلوب، وشفاءً للصدر، وفتحًا لباب السلوك العرفاني. والطريق إليهم ليس بطول اللحى ولا بالثياب القصيرة، بل بطهارة النية، وصدق التوجه، وانسحاق النفس بين يدي الحق. فهم في كل عصر، وفي كل أرض، موجودون، لكن لا يعرفهم إلا من أراد الله له أن يسلك دربهم، فطوبى لمن أحبّهم، وصدق معهم، وسار على أثرهم. وطوبى لمن رأى النور في وجوههم، والسرّ في صمتهم، والعرفان في

سلوكهم. إنهم مرايا الصفاء، وأوتاد الأرض، ومفاتيح الرحمة، وأهل الوصل والصدق والبهاء، وشاهد يقيني: من دخل خلوة كسبزانة صادقة، وذاق طعم التوجه الروحي الصافي، لا يمكن أن ينكر أثر الأولياء، ولا أن ينسى لمعة الحق في وجوههم، ولا أن يصف حالهم إلا بالبكاء من جمال ما عاين. ولقد شهدناهم، عرفناهم، وامتأنا بهم محبةً وسيرًا وذوبانًا في الله، اللهم اجعلنا في زميرهم، واحشرنا معهم، ولا تحرمنا صحبتهم في الدنيا والآخرة، فهم أحبابك، ومن أحب أحبابك أحببته، ومن أحببت لا يشقى أبدًا.

وصلى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليم

الباب التاسع: المقال الثالث (الولي المرشد في طريق السالكين)

الطريق إلى الله ليس دربًا مفروشًا بالورود، بل هو مسيرة روحية طويلة، مليئة بالتحديات والمجاهدة والرياضة والخلوة. ومن لم يكن له دليل، ضلّ الطريق وتاه في ظلمات النفس والدنيا والهوى. ومن هنا، كانت الحاجة إلى الولي المرشد، ذاك الإنسان الرباني الذي اصطفاه الله، وجعل من قلبه منارة تهدي السالكين إلى حضرته، وتفتح لهم أبواب الفيوضات والمعارف. والولي المرشد ليس مجرد معلم في الظاهر، بل هو باب السرّ الإلهي، ومفتاح الفتح الرباني، يحمل النور في قلبه، والرحمة في كلماته، والسكينة في حضوره. لا يتكلم من هوى، ولا يرشد من فكر بشري محدود، بل من نفحات إلهية صقلت التجربة، وزكته الصبغة، وباركتها العناية.

قال تعالى: ﴿وَجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ ﴿هَارُونَ أَخِي﴾ ﴿أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ [طه: ٢٩-٣١]، فكما... فكما احتاج موسى عليه السلام إلى من يُشدّ أزره في المهمة، فإن السالك لا بد له من مرشد يشدّ أزره في سلوك الطريق، ويقيه عثرات النفس ومكائد الشيطان، وفي الحديث الشريف: "إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، ومن يتحرى الخير يُعطه، ومن يتوق الشر يُوقه" [رواه البخاري]. ولكن هذا التحلم والتعلم لا يكونان على الوجه الأتم إلا في كنف مرشد ربّاني، يُورث المريد العلم، والذوق، والصفاء، والمعرفة.

وفي الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، نجد هذا المعنى متجليًا في حضرة الولي المرشد الكامل، الذي هو امتداد للنور المحمدي، وسلسلة الإرشاد المتصلة بالجناب النبوي المحمدي الطاهر، فهو لا يرشد بعقله، ولا يدلّ بجُهد بشري، بل بنفحات من فيوضات السلسلة المباركة، وبأذن ربّانية

تُمنح له، وبسرّ خاص لا يدرك إلا بالذوق، ومن خصائص هذا الولي المرشد في الطريقة الكسنزانية. أنه مرآة لسرّ النور المحمدي، وهو الخليفة الحاضر، ووارث سره، وهو لا يضيف على المريد من عنده شيئاً، بل يُستلمه من النور الحق، فهو جسد المحبة، وروح الطاعة، ولسان النور، ويُعالج السالكين بالكلام وبالهمة، وبالأنفاس، وبالنظر الرحماني الذي يُطهر القلب، ولا يفرّق بين السالكين بحسب منازلهم الدنيوية، بل يعاملهم بما هم عليه من صدق النية، وصفاء القصد، ويُقرّب المريد من مقام الفناء في المحبة، ثم البقاء في شهود الحقيقة، وما أكثر من ضلّوا حين ظنّوا أنهم قادرون على السير وحدهم، فدخلوا في متاهات الشطح، أو استعبدتهم النفس والهوى. قال الإمام الجنيد: "هذا علمنا مضبوط بالكتاب والسنة، ومن لم يكن له شيخ، فشيخه الشيطان."

والولي المرشد في الطريقة الكسنزانية، ليس هو المعلم، وهو الحاضن، والمحِب، والهامي، والطبيب، والقائد. هو من إذا نظرت إليه ذكرتَ الله، وإذا سمعتَ صوته، سكنتَ جوارحك، وإذا جلستَ في حضرته، ظهرت روحك من العلائق، وقد تجلّت هذه المعاني في حضرة السيد الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان القادري الحسيني قدست اسرارهِ، الولي المرشد في زمننا، وراعي السالكين، ودليل المحبين، فقد جمع بين نور السلسلة الكسنزانية، وفهم العصر، ورحابة القلب، وعمق النظرة، وسعة الروح. فصار ملاذاً للمحبين، وقبلة للسالكين، ومصدراً للسلام في زمن القلق، وراية للمحبة في عالم يموج بالصراعات، فمن أراد أن يسلك، فليتأدّب، ومن أراد أن يفتح له، فليصحب، ومن أراد أن يذوق، فليسلم نفسه للولي المرشد الأستاذ المربي، لا تسليم العميان، بل تسليم العاشقين، الواثقين، المستنيرين باليقين، الموقنين بأنّ المرشد لا يدل إلا على الحق، ولا يشير إلا إلى الحضرة، ولا يريد إلا وجه الله سبحانه وتعالى، ورسوله سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، والله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا

مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿التوبة: ١١٩﴾، ومن أصدق من الولي إذا باع دنياه وآثر الله؟
ومن أهدي من المرشد إذا ذاب في المحبة وسلك بأرواحنا نحو الله؟
فالسالك الذي وجد مرشده، قد وجد الطريق، وبدأ الرحلة من ذاته إلى
مولاه، تحت عين راعٍ لا ينام، وقلبٍ لا يغفل، ونورٍ لا ينطفئ، والله المستعان
على السير، والمرشد هو الدليل.

وصلّى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى
آله وصحبه وسلم تسليماً..

الباب التاسع : المقال الرابع (بغدادُ قبلةُ السالكين)

بغدادُ يا مهوى الأرواحُ، ويا مرقَدَ الأسرارُ، ويا منارةَ العارفين، لم تكوني يوماً مجردَ مدينةٍ تُرسمُ على خارطةٍ، بل كنتِ سماءً ممدودةً على الأرضِ، كلما ارتفعت الروحُ شوقاً، وجدت فيكِ سُلماً إلى الله. يا بغدادُ، يا ابنةَ دجلةٍ والفراتِ، ويا حاملةً عبقَ التاريخِ، ويا مستودعَ العلمِ والمعرفةِ، ويا مسرى الأولياءِ والصالحين، لكِ في قلبِ كلِّ سالكٍ مقعدٌ صدقٍ، وفي ضميرِ كلِّ محبِّ مقامٍ نورٍ، تُتلى فيكِ الأدعيةُ، وتُشعلُ الشموعُ، وتُطوى المسافاتُ إلى ما وراءَ المكان.

قالوا عنكِ إنكِ مدينةُ السلامِ، ودارُ الحكمةِ، ومهوى أفئدةِ الشعراءِ والعلماءِ. فيكِ كتبُ الجاحظِ، ونطقُ أبو الطيبِ، وتأملُ الغزالي، وسكنكِ الكاظمُ عليه السلامُ والشيخُ معروفُ والجنيدُ والسريُّ والجيلاني والكسنزاني والواسطي والشبلي والحبيب قدست اسراركم . وقالوا: من لم يَرِ بغدادُ، لم يَرِ الدنيا. لكنها... ليست دنيا فقط، إنها دنيا وأخرى، إنها طريقٌ للمحبين، وزادٌ للذاكرين.

قال فيها الشاعر:

"بغدادُ يا بلدَ الرشادِ ومنهلَ العرفانِ
فيكِ الأئمةُ والورى والفضلُ والإيمانُ"
وقال آخر:

"بغدادُ يا قبلةَ العارفينِ
يا مشرقَ النورِ على السالكينِ
فيكِ تجلَّى الله حبّاً وعرفاناً

وفيك ارتقت الأرواحُ تبتغي الرحمنُ"

وفي قلبك يا بغداد، ترقدُ هالة النور، حضرة السلطان العارف بالله، الإمام عبد القادر الجيلاني، قدس الله سره العزيز، الذي جعل الله له فيك منبراً للعلم، ومحراباً للولاية، ومقاماً لسرِّ لا يندثر، وهناك، عند ضريحه، ترتفع الأرواح وتتنزل الأنوار. ما من قلب مرَّ على حضرته إلا وشُفي، وما من عين نظرت إليه إلا واغتسلت، وما من نفس سألته الدعاء إلا وارتوت من فيضه، وفيك نادى الجيلاني: "قدمي هذه على رقبة كل وليٍّ لله"، فارتجفت الأكوان، وتجلَّت الهيبة، وامتدت ولايته إلى كل زاوية في الأرض، وظل سره باقياً فيك، كنبع لا ينضب، وكشمس لا تغيب، بغداد الجيلاني، هي بغداد التي لا تزال تُنجب من يمشي على نوره، ويحيي سنته، ويكمل مسيرته في تزكية القلوب، وهداية الأرواح، وتثبيت المحبة.

ومع الزمن، لم تُطفأ المشكاة، بل تجددت، وتوهَّج النور في صورة أخرى، فكان الكسنان، وكانت الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، كجسرٍ يصل بين زمن الولاية وزمننا الحاضر.

وفيك وُلدت الدعوة الكسنزانية، ومنك امتدت إلى بقاع العالم، تدعو للمحبة، للسلام، للتسامح، للصفاء، للصدق، للمحبة لله لا لغرض، للعشق الإلهي لا للزيف، للسلوك النقي لا للشكليات، وحضرة الشيخ السلطان الخليفة محمد المحمد الكسنان، قدس الله سره، أحياء من جديد، بعطر الذكر، ونور الخلوة، وصفاء الرياضة الروحية، ثم حمل الراية من بعده حفيده الوارث، السيد الشريف الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنان، حفظه الله، فأعاد لبغداد قلبها النابض، وجعلها مرة أخرى قبلةً للسالكين من كل الجنسيات، من كل المذاهب، من كل الديانات، وفي بغداد الكسنان، تُحيي المجالس، وتُرقى الهمم، وتُشعل في النفوس جذوة الحنين إلى الأصل، إلى الله، إلى النور، إلى من لا يُعرف إلا بالعشق والتجلي، ومن لا يُدرك إلا إذا سُلِكَ إليه بالذوبان في المحبة، وبغداد، مقام الأرواح لا الأجساد، وبغداد

ليست جسداً من حجارة وطين، إنها مقامٌ للأنفاس الطاهرة، وعرشٌ للقلوب
المشتاقة، وعطرٌ للنفوس التي تابت، وسارت، وتطهّرت، وبلغت، وهي محطّ
الرحال، ومهبط السكينة، ومحراب الإشراق، وكل من أراد السير إلى الله،
سلك طريقاً ينتهي في بغداد. فهنا يتربّي السالك، ويتطهّر المريد، ويولد
العاشق، وتُسكب الدموع التي لا تُبكي بل تُطهّر. هنا تُكتب السيرة الحقيقية
للمريد، لا في كتب الورق، بل في كتاب القلب، ومهما عصفت بك الرياح،
وتناوشتك المحن، فأنت يا بغداد الباقية. لأنك لست مدينة من طين، بل من
نور. لأنك قبلة العارفين، وسماء المشتاقين، وظل الأولياء والصالحين
ومحراب السالكين.

وإن نامت المدن، فبغداد ساهرة، وإن خمدت الأرواح، فبغداد موقدة،
وإن جفّ الزمان، فبغداد ساقية. من ترابك تُنبث الأرواح، ومن هوائك تُبعث
الحياة، ومن نورك يُولد العشق.

فيا بغداد، يا مدينة الجيلاني والكسنزاني، يا أرض الله في أرضه، ويا سر
العارفين، ستبقين ما بقي الذكر، وما بقي العشق، وما بقي قلب ينادي "دلّوني
على بغداد، دلّوني على الله." والله هو الدليل والموصل إلى الحق.
وصلّى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى
آله وصحبه وسلم تسليمًا..

الباب التاسع: المقال الخامس (سبيل النجاة في عالمٍ مشتّت)

في زمنٍ يضجّ بالتشتّت، وتتلاطم فيه أمواج الحياة المادية، ويضيع فيه الإنسان بين زحام المصالح، وغياهب الفتن، تبدو الحاجة ماسةً إلى سبيل نجاة، لا يُقاسُ بالهروب من الواقع، بل بالرجوع إلى الأصل، إلى النور الأول، إلى الذات النقية المتصلة بخالقها. وعالم اليوم أشبه بسفينة تمخرُ عباب محيط هائج، حيث أضاع كثيرٌ من الناس البوصلة، وتكسّرت المجاديف، فلا ملجأ للروح إلا في حضن الروحانية الحقيقية، التي ترتقي بالإنسان من تراب الجسد إلى سماء المعنى.

وفي هذا العالم الممزق بين الأصوات المتضادة، والنزعات المتصارعة، والمفاهيم المبتذلة، يبقى القلب السليم هو المركب الآمن، والمكاشفة الصادقة مع النفس هي بداية الطريق. ولكن كيف؟ وأين؟ وما السبيل؟ السبيل هو العرفان، السبيل هو الذكر، السبيل هو المحبة.

وفي المنهج الكسنزاني، لا تكون النجاة إلا بالانقياد لنداء الروح، والانغماس في بحر المحبة الإلهية، والتسليم للعارف بالله الذي يشير إلى النبع الأصيل، لا إلى سراب المظاهر، والطريق الكسنزاني ليس طقساً عابراً، بل هو سلوك، وتهذيب، وتربية، ومجالسة للأولياء والصالحين، وتذوق لمعاني الصفاء. وهو الطريق الذي يأخذك من ضجيج العالم إلى سكونية الحضرة، ومن غوغاء النفس إلى واحة الطمأنينة، ولقد أثبت التجارب أن الحلول السياسية، والاقتصادية، وحتى التربوية لا تكفي وحدها لشفاء هذا العصر المريض بالتشتّت، وإن ما ينقص العالم هو اللمسة الروحية، الرحمة القلبية، الإحساس بالآخر، والانخلاع من عبودية الأنا إلى عبودية الحق.

وهذه كلها لا تُستجلب من الخارج، بل تُستنتب في الداخل، وتُروى بماء الصحبة الصالحة، ويُعتنى بها في ظل الطريقة، حيث يسير السالك تحت جناح المرشد العارف، الذي لا يُضِلُّ، ولا يَغشُّ، ولا يترك المريد في متاهات الشك والتخبُّط، وحين تغرق المجتمعات في الحروب، وتنهار القيم، وتفقد النفوس توازنها، يصبح الحديث عن "النجاة" أمرًا ملحًا، لكنه لا يعني الفرار إلى الزوايا والانغلاق، بل العودة إلى الحقيقة الأولى، إلى معنى الإنسان، والكسنزانية لا تدعو إلى التخلّي عن الحياة، بل إلى تزكيتها، إلى جعلها سُلَّمًا للارتقاء، لا هاوية للغرق، وفي حضرة الذكر، يستعيد القلب نبضه الأصيل، وفي لحظة خلوة، قد تنفتح أبواب الفرج بعد طول ضيق، وفي نظرة من وليّ الله، قد تُشفى جراحٌ لا يداويها الف طبيب، والسبيل في هذا العصر، هو إحياء النور في القلب، بالحب، بالصدق، وبالصحبة، والسبيل الكسنزاني هو طريق أهل الله، ولا يُبنى على تعصب، ولا يُراد به غلبة، بل خدمة، ورحمة، ونور يُضيء لغيرك الطريق، فمن أراد النجاة، فليطأ درب العارفين، وليركع قلبه بين يدي مولاه، وليردد "لا إله إلا الله، محمد رسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وهنا يبدأ الأمان، وتبتدئ الرحلة المباركة نحو الذات، نحو الحقيقة، نحو السلام، اللهم اجعلنا من السالكين على هذا السبيل، واقذف في قلوبنا نور اليقين، وانصرنا ببركة أوليائك الصالحين.

وصلى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا..

الباب التاسع: المقال السادس (النور المحمدي رحمة وجمال للعالمين)

في لُجَّةِ هذا الكونِ العظيم، حيث تتجلى آياتُ الجمالِ في كلِّ زاويةٍ، وحيثُ يتراقصُ النورُ على جبينِ الزمانِ، كانت الرحمةُ المحمديةُ هي التجلي الأعظمُ، وكانت الروحُ المحمديةُ هي السرُّ الذي أضاءَ ظلماتِ الوجودِ، ومهد للقلوبِ وسبيلُ العودةِ إلى أصلها الإلهي الطاهر.

وسيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم هو "رحمةٌ للعالمين"، كما وصفه الحقُّ جلَّ وعلا: ﴿وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. هذه الرحمةُ ليست موجهةً لفئةٍ دونَ أخرى، ولا لمكانٍ دونَ آخر، بل هي رحمةٌ شاملةٌ تمتدُّ من الترابِ إلى السماءِ، ومن القلبِ إلى الأرواحِ، ومن الدنيا إلى ما بعدها.

وكانت بعثته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في زمنٍ قاحلٍ من القيمِ، قاسٍ في روحه، متشظٍ في فكره، فانبثق من نوره ما يذيبُ القسوةَ، ويُنعشُ الحياةَ، ويُحرِّرُ الإنسانَ من عبوديةِ الظلمِ إلى عبوديةِ الرحمةِ، وقال تعالى: ﴿لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتم، حريصٌ عليكم، بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم﴾ [التوبة: ١٢٨]، فالرأفةُ والرحمةُ ليست صفتين عابرتين في سلوكه، بل هما جوهر كيانه، والرحمةُ المحمديةُ ليست فقط في دموعه التي انهمرت لطفل يتيم، ولا في يده التي امتدت للعبد والفقير، بل هي في روحٍ حملت الوجود كله بعين الشفقة والحب، روح ارتقت فوق العصبيات، وتجاوزت الأحقاد، وفتحت للناس أبواب السماء، ودلّتهم على "ربِّ يحبّهم".

في طريق التصوف، حيث تُروى الأرواح من نبع الذكر، يُعدّ سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم هو قطبُ الوجود، وسرُّ الأسرار، والمرآة التي تتجلى فيها أنوار الأسماء والصفات، قال ابن عربي: "لو لا سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ما عُرفت الرّحمة، وما نزل لطفٌ، وما تنزلت أنوار". وفي التصوف والعرفان الكسنزاني، حيث يرتوي السالك من فيض المحبة، وتُفهم الرحمة المحمدية بحضورٍ دائم في القلب، وطريقٍ يُسلّك للوصول إلى الله سبحانه وتعالى، وسيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم روح باقية، تضيء الظلمات، وتُحيي النفوس، وترشد السائرين في الليالي الباردة نحو دفء الحضرة، وإنها الرحمة التي لامست الكائنات كلّها، حتى الشجر والحجر، فقد ورد في الحديث الصحيح "لو أمرتُ الشجر لأقبلت إليّ، ولأطاعتني، ولو دعوتُ الحجر لسلم عليّ"، إنها رحمةٌ لها لغة يفهمها كل ما في الوجود، لغةٌ النور، ولغةُ السلام، وما كان صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يردّ الأذى بالأذى، بل كان نبعًا من اللين، قال تعالى ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فبهذه الرحمة لا غيرها، تأسست دعوة الحق، وبهذا النور لا بسواه، انقشعت ظلمات الجهل، وأيّ سرٍّ أودعه الله فيك يا رسول الله؟ كيف استطعت أن تكون أبًا لليتيم، وأخًا للفقراء، وناصرًا للضعفاء، ومرشدًا للعارفين، ونورًا في دروب التائهين؟ وكيف استطعت أن تحوّل الصحراء الجافة إلى جنة من المعاني، وقلوب الأعراب إلى قلوب محبة لله؟ وإن الذي يعرف سيدنا محمدًا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بعمق لا يمكن أن يبقى كما كان، ولا أن يُبقي في قلبه كراهية لأحد، لأن الرحمة إذا دخلت القلب، انكسر فيه كل عناد، وانفتحت فيه أبواب السلام، وسيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ليس للعرب وحدهم، بل لكل إنسان، بل لكل روح، بل لكل ذرة تنشُد النور في ليل الغفلة. فهو النور الذي تاهت عنه الفلسفات، وسعت إليه الديانات، وانتظرتة الأكوان، وفي مدرسة الكسنزان، حيث تتربى القلوب على

الذوق والمحبة، يُعَلِّم المرید أن یتخلّق بالرحمة، وأن یحمل قلبًا واسعًا كما
قلب المصطفی، وأن یرى فی کل مخلوق مظهرًا من مظاهر الجمال الإلهی،
وأن تكون الرحمة طريقة حياة.
وصلی الله على سیدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى
آله وصحبه وسلم تسليما...

الباب العاشر: قصص ومواقف من نور

(في كل قصة باب من نور، ومفتاح لقلب مغلق، وفي كل موقف مشرق، همسة للروح تهديها إلى معنى الحياة)

الباب العاشر: المقال الأول (التربية القلبية وصفاء الروح في عالم

المادة)

في زحام العالم المادي وتزاحم الأصوات الصاخبة التي تنادي بالاستهلاك والريح والسطوة، تبرز التربية القلبية كنداء سري، كنور خافت من أعماق الوجود، يدعو الإنسان إلى العودة إلى أصله، إلى حقيقته الأولى التي فطره الله عليها. فالقلب في التصور الصوفي العرفاني، ليس مجرد عضلة تضخ الدم، بل هو مرآة الروح، وساحة للكشف، وبوابة النور الإلهي. وقد قال سبحانه وتعالى "إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ" (الشعراء: ٨٩). فالنجاة هنا لم تُربط بالعقل أو الجسد، بل بالقلب السليم، النقي، المتحرر من الأهواء. والتربية القلبية ليست مجرد سلوكيات أخلاقية سطحية، بل هي سلوك روحي عميق، ومسار عرفاني متدرج، يُطهّر فيه الإنسان قلبه من أمراض الكبر والغرور والرياء والطمع، ويزرع فيه بذور الحب، والتسليم والصفاء، والصدق. إنها تربية تستند إلى الصحة، إلى النور، إلى المجاهدة، إلى ذكر الله، لا بالكلام وحده بل بالحضور، بالذوبان في المعنى، بالاستغراق في المحبوب. وقد قال أحد العارفين: "القلب إذا طُهر رأى الله"، وهو ما أكده

سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حين قال "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله، ألا وهي القلب".

وفي الطريق الكسنزاني، الذي يجمع بين جوهر الشريعة وروح الحقيقة، نجد أن التربية القلبية تبدأ من الحب وتنتهي بالحضور، مرورًا بالتسليم، والمجاهدات، والخلوات، والتربية النورانية تحت إشراف شيخ عارف بالله. فالشيخ معلّم مربّي بالهمة والنظر، يدل السالك على ربه من غير تكلف، كما قالوا: "الشيخ هو الذي إذا نظرت إليه ذكرت الله". وهذا ما جسده حضرة السيد الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان، حفظه الله، في تربيته لسالكيه، حيث جعل من القلب ميزان السير، ومن الصفاء لغة الطريق، ومن الذكر سلمًا للارتقاء.

وصفاء الروح في عالم المادة ليس انقطاعًا عن الحياة، بل هو انخراطٌ فيها بنور أرقى، وبفهم أعمق، وبقلب لا تعكره الأسواق ولا تشوشه الشاشات، قلبٌ يسير في الأرض ونظره إلى السماء، يعمل ويتاجر ويزرع ويُعلّم، لكنه لا ينسى، لا يغفل، لا يتعلّق. كما قال تعالى: "رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ" (النور: ٣٧). هؤلاء هم أهل التربية القلبية، الذين مزجوا بين الروح والمادة، فظهرت الروح المادة، لا العكس، وعالم المادة يحاول أن يجعل من الإنسان مجرد جسد متحرك، ترقّمه المصانع، وتوجّهه الإعلانات، وتغذّيه الشهوات، لكن العارف الصادق يرى في المادة مرآة، لا جدارًا. يرى فيها أسماء الله، يرى فيها تجليات القدرة، ويرتفع بها لا يسقط فيها. وبهذا يتحقق صفاء الروح وسط الزحام، وتغدو الدنيا سلمًا لا حفرة، وإن من أعظم معاني التربية القلبية ما روي عن سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في حديث عظيم، حين قال "التقوى ها هنا" وأشار إلى صدره الشريف ثلاثًا. التقوى، وهي خلاصة الدين، مقرها القلب، ومنبعها الداخل، لا الخارج. ومن هنا فالمعارف الخارجية، مهما كثرت، لا تثمر نورًا

ما لم تتصل بقلب حي، قلب يشهد، ويسمع، ويتألم، ويتذوق، والتصوف الكسنزاني قدّم هذه التربية بأسلوب عصري حيّ، لا يُقصي العقل، ولا يُميت الجسد، بل يُنير العقل بنور القلب، ويُهذّب الجسد بروح الذكر، ويجعل من السالك شاهدًا على رحمة الله في كل شيء، يرى الحسن في الوجود، ويشعر بالوحدة في التعدد، ويعيش حالة "مع الله" في كل لحظة.

الناس تبحث عن السعادة في الأرقام، في المناصب، في النجاحات المادية، لكن التربية القلبية تعلّمنا أن السعادة في الرضا، في التواضع، في المحبة، في الحضور مع الله، في الصفاء، في النور الذي يسكن عيون المحبين. قال ابن عطاء الله السكندري: "ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول، وربما قضى عليك بالذنب فكان سببًا في الوصول". هذه هي التربية القلبية، حيث لا تُقاس الأمور بمقاييس الناس، بل بموازين النور، والصدق، والتجرّد، وفي الختام، تبقى التربية القلبية وصفاء الروح طريقًا لا يفنى، طريق المحبين، طريق الذين اختاروا أن يكونوا للحق، لا لأنفسهم، وأن يعيشوا في الأرض بنفوس سماوية. في زمن الماديات، كن أنت القلب، كن أنت النور، واذكر إن القلب إذا صفا، صار مرآة يرى فيها الإنسان وجه الله في كل شيء.

وصلّى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا..

الباب العاشر: المقال الثاني (الحياة بوابة الاختبار والعبور)

الحياة ليست إلا ممراً، بوابة للعبور، امتحاناً تتكشف فيه حقائق الوجود، وتتألف فيه الأرواح أو تنطفئ، تبعاً لمدى استعدادها للتلقي، للمعاناة، وللسير في طريق السلوك والنور. والحياة ليست استقراراً، بل سيرٌ متواصل نحو المقصود، وتربية مستمرة للأرواح كي تنضج، وتتهيأ للخلود في حضرة الحق، وإنّ البلاء هو المعلم الصامت، والرفيق الذي لا يفارق السالكين، بل هو النار التي تصهر الشوائب، فتخرج النفس منها أكثر صفاءً، والقلب أكثر نقاءً، والروح أكثر قرباً من الله.

يقول سبحانه وتعالى "وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ" [البقرة: ١٥٥]، وإشارة إلى أنّ البلاء ليس عقوبة، بل أداة من أدوات التمحيص والتمييز والارتقاء.

وفي الطريق الصوفي الكسرناني، يتخذ البلاء بعداً تربوياً عرفانياً، فليس المقصود منه مجرد التحمل، بل الفهم، والتسليم، والذوبان في الحكمة الإلهية، كما قال أحد العارفين: "البلاء يريد العناية، من صبر أدرك، ومن رضي ارتقى، ومن شكر تفتح له باب المحبة." والنفوس لا تتهذب في الرخاء كما تتهذب في الضيق، وفي لحظات الشدة، يُختبر صدق الإيمان، وتُجلى معاني التوكل، ويتفتح القلب على أنوار كانت محجوبة في أيام النعيم، ولهذا قال النبي سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم "أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل" [رواه الترمذي]، لأنهم مؤهلون لتحمل أعباء الاصطفاء، وهم يعرفون أن الألم يفتح أبواب الحكمة والرضا، والسالك في الطريق الكسرناني، حين يواجه البلاء، لا يراه عائقاً، بل

بوابة عبور نحو كشف أوسع، وفهم أعمق، وصلة أقرب بالمولى، لأن البلاء في الحقيقة يعرّي زيف الدنيا، ويحرر النفس من عبودية الأشياء، ويفتح لها نافذة على المعنى الحقيقي للوجود، على النور الإلهي الساطع خلف ستار الظلمات، وحين نسمع من أهل الله، مثل حضرة السيد الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان القادري الحسيني قدست اسرارته، كلامًا عن الصبر، والرضا، والتسليم، فإننا لا نسمع دروسًا ذهنية، بل نرى تجارب روحية عميقة، صاغت الأيام، ووشمها الألم، وزينها الشوق إلى الله، والحياة إذًا، ليست استهلاكًا للزمن، بل عبورًا من الكثافة إلى اللطافة، من الغفلة إلى الذكر، من الجهل إلى الفتح. والبلاء هو أحد جسور هذا العبور. فطوبى لمن فهم الرسالة، وصبر على الألم، وتمسك بالرجاء، وسار خلف نوره حتى في عتمة الليل، نها ليست مجرد حياة...

إنها امتحان حب، ودرس يقين، وفرصة خلاص، قال سبحانه وتعالى "فَصَبِرْ جَمِيلٌ^ط وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ" [يوسف: ١٨].

وصلّى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا..

الباب العاشر: المقال الثالث (الزكاة الروحية وإصلاح القلوب)

في عالم يغرق في الماديات، وتغشاه موجات الأنانية والشتات، يقف مفهوم الزكاة الروحية منارةً تهدي التائهين إلى ضفاف النقاء، ومفتاحاً لباب إصلاح القلوب، الذي هو الغاية الأولى في مسيرة السالكين، وطريق الخلاص لمن ابتغى الصفاء والوصال. فالزكاة ليست مجرد عبادة مالية، بل هي أصل من أصول تزكية النفس، ومفتاح من مفاتيح الترقى الروحي في مدرسة العرفان والصفاء.

والزكاة ليست فقط مالا يؤخذ، بل روح تُطهّر، قال الله سبحانه وتعالى: "قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا" (الشمس: ٩). فالتزكية في حقيقتها تطهير داخلي، ونزع لأشوائ الغفلة من أرض القلب، لتكون صالحةً لإنبات أنوار المحبة، وثمار القرب من الحق. والزكاة الروحية، في اصطلاح العارفين، هي إخراج كل ما يثقل الروح ويشوش صفاءها: من الحسد، والكبر، والرياء، والحقد، والشح، و... الشح، والتعلق الزائف. إنها تحرير داخلي، لا تدركه العيون، بل تحسه الأرواح.

والقلوب لا تُصلح بالوعظ وحده، بل بتخلية وتحلية، وقد بين أهل التصوف، وعلى رأسهم مشايخ الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، أن إصلاح القلوب يبدأ بتخلية القلب من كل صفات الظلمة، ثم تحليته بصفاته الرحمانية.

يقول السيد الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان القادري الحسيني (حفظه الله): "القلب بيت الله، لا يسكنه النور ما دام فيه شرك من هوى أو كبر، فطهره أولاً بصدق، يُنزَل فيه سرّ الحق". والزكاة الروحية بهذا المعنى لا

تُقاس بالدنانير، بل بمقدار ما تخلّيت عن نفسك وهواك، وكم من دمة صادقة نزلت على خدك ندمًا وخشية، وكم من فكرة سامية رفعتك عن سفاف الدنيا نحو معارج النور، والزكاة الروحية تطهّر الإنسان من الأنانية، وتجعله مستعدًا للحب والخدمة والعطاء.

وفي الطريقة الكسنزانية، يتعلم السالك أنّ كل عبادة ظاهرية لا قيمة لها ما لم تُثمر إصلاحًا في الباطن. والصلاة التي لا تنهى عن الفحشاء، صارت عادة لا عبادة. والزكاة التي لا تربى القلب على التواضع والرحمة، تبقى جسدًا بلا روح.

قال تعالى "خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا" (التوبة: ١٠٣) فهي تطهير مزدوج تطهير مالي، وتزكية نفسية، وفي الزكاة الروحية، يُعطى الفقير الأكبر القلب المحروم من المعرفة، وإن أعظم صدقة تقدمها ليست مالك، بل نور قلبك، وأن ترحم جاهلاً، وتعفو عن مسيء، وتُضيء بكلمة قلبًا مظلمًا، أو تواسي روحًا موجوعة، تلك هي الزكاة التي يرضاها الحق، والتي يحبها أهل الله. يقول أحد العارفين "من زكّى ماله زاد، ومن زكّى قلبه ساد، ومن زكّى نفسه شاهد رب العباد".

والطريقة الكسنزانية مدرسة الزكاة القلبية، وفي الحضرة الكسنزانية، لا تُقاس القيمة بكم قرأت من كتب، بل بكم محوت من نفسك، وكم زرعت من محبة في قلوب العباد.

الشيخ الكسنزاني، في كل إشارة منه، يزكّي القلوب بنوره، يزرع المحبة، وينقي الأرواح من شوائب الغفلة، وكم من مريد دخل الحضرة وهو مثقل بالذنوب، فلما زكّى قلبه بالتسليم، أضاءت روحه، وانقلب حاله، وأصبح من أهل القرب والشهود، فالزكاة الروحية هنا ليست فرضًا، بل حياة. ليست عبادة وقتية، بل مسار وجودي دائم، عنوانه "وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا. قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا."

والزكاة الروحية فريضة قلبية على كل سالك إلى الله، فلا يبلغ السالك مقام المحبة، إلا بعد أن يزكي نفسه، ويصلح قلبه، ويغسل مرآة روحه من صداً الغرور والكبر، والعارف الصادق، هو من جعل كل لحظة من حياته زكاة، وكل كلمة منه دعوة، وكل نفس منه ذكراً، وكل عمل خدمةً للخلق في سبيل الحق.

وخاتمة القول: الزكاة الحقيقية هي زكاة الروح، فمن زكى نفسه، فقد اقترب من مولاه. ومن زكى قلبه، فقد رآه ببصيرته، وهذا هو مراد أهل التصوف، وغاية الطريقة الكسنزانية "إصلاح القلوب لتكون مرآة لنور الله، وأوعيةً لمحبة الخلق، ومساكن لحضرة الحق."

وصلّى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا..

الباب العاشر: المقال الرابع (مصباح القلوب في دروب التائهيـن)

في دروب الحياة الملتوية، حين تزدحم الظلمات وتتأقل الأرواح، يبقى للقلب مصباح خفي لا يخبو، هو من إشراق الروح ومن نفس العارفين. ذلك المصباح لا يصنع من نار، ولا يؤقد بزيت، بل يغذى من نور المحبة الصافية، ومن وهج الصدق في السير إلى الله. مصباح القلوب هو لطيفة ربانية مودعة في الإنسان، تشتعل إذا صدق، وتخبو إذا غفل، وتضيء إذا حضر القلب وغاب الجسد، وكل تائه في الأرض، مهما توغل في التيه، يحمل في أعماقه وهجا لا يطفأ. لكن الغبار المتراكم من الشهوات والماديات يحجب عنه الشعور. حين يضرب التيه أبوابه بقسوة، وحين تنقطع الحيل، يتلفت القلب ليجث عن سبيل، وهنا، فقط هنا، يتقد المصباح إن أذن الله، ويبدأ النور بالانسكاب. قال تعالى: "الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح"، ذلك هو نور الفطرة، ونور الهداية، ونور السالكين.

والتائهون ليسوا ضالين دوماً، بل هم في مسيرة بحث، في عطش دائم لحقيقة أكبر، لكن الطرق كثيرة، والمرايا مزيفة، فيضيعون ما لم يكن لهم مرشد أو نور. وهنا يبرز سر المصباح الكسنزاني، ذاك الذي لا ينبعث من عقل مجرد، ولا من فلسفة عقلية، بل من قلب قد أوقد بنور الإرشاد، ومن يد موصولة بالسلسلة المباركة، يد حضرة الشيخ الكامل الذي يرث سر السادة القادرية العلية. هذا النور الكسنزاني لا يقدر بثمن، لأنه ليس مادة، بل حياة تُعاد، وقلب يُبعث، وسر يُكشف، والعرفاء الصادقون قالوا إن القلب بيت الله، فإذا امتلأ القلب بأنوار الذكر، خلج على الجوارح ستر الهداية، وصار الإنسان بكيانه نوراً يهدي ولا يضل، ينير ولا يحترق، ومن مشى خلف المصباح، وإن

طال الليل، فجره قريب. ومن أطفأ نوره، ولو كان في رابعة النهار، فقد تاه في النهار كما يتوه في الظلام. قال رسول الله سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم "اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله"، وهذا النور لا يرى بالعين، بل يُحسُّ، ويُذاق، ويُلمس من أثره في الحياة.

وفي الطريقة الكسنزانية، يُعاد إشعال مصباح القلب للغافلين، لا بإكراه، بل بلطف، لا بضجيج، بل بهمسة، لا بالعقاب، بل بالعناق الروحي. فإذا حضر السالك مجلس الذكر بصدق، بدأت قطرات النور تتسلل إلى جوانبه، وإذا أخلص النية في محبة الشيخ، صار نوره يراه حتى في غيبته. ذلك هو اللطف العجيب، أن ترى وأنت مغمض، أن تهتدي وأنت لا تسأل، أن تصل دون أن تعرف الطريق، لأن المصباح سبقك، ونور لك ما غاب، والتائه الحقيقي ليس من لم يعرف، بل من عرف ثم نسي. والتائه المبارك هو من عاد يبحث ولو بعد حين. والله لا يطفئ مصباحًا استؤقد من شوق، ولا يرد يدًا ارتفعت من ألم، ولا يغلق بابًا طُرقَ باسم المحبة. كل مصباح في القلب هو أمانة من السماء، فاحفظه بالذكر، وغذِه بالنية، ووجهه نحو الحضرة، تجده دليلًا في ظلمة التيه، وسكينة في ضوضاء الوجود، وهمسة نور في ليلٍ طويل.

ومن أكرمه الله بالوصول إلى شيخ كاملٍ مثل حضرة السيد الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان قدست أسرارهِ، فقد وجدَ المصباح، بل أصبح المصباح طريقًا وسيرًا ومقامًا، وصار دربه هدى لا يضل، ونوره شفاء لا يبهت، وسيره في الحياة حضور دائم في حضرة الحق، اللهم اجعل لنا في كل قلب مصباح، وفي كل درب دليل، وفي كل تيه إشراق، وفي كل لحظة هدى، حتى نلقاك وأنت راضٍ عنا.

وصلى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا..

الباب العاشر: المقال الخامس (الإنسان بين الانكسار والعروج إلى الحق)

في أعماق الوجود الإنساني، يكمن سرُّ أبدئي لا يُفكُّ إلا بمفتاح الانكسار. ذاك الانكسار الذي لا يعني الهزيمة، بل هو بداية الانبعاث، وهو باب الدخول إلى حضرة الحق، حيث يكون العروج بالروح وليس بالجسد، وليس بالعقل وحده ولكن بالقلب المستنير بأنوار الذكر والعرفان.

ولقد خلق الله الإنسان خليفة في الأرض، يحمل أمانة لا تحتملها الجبال، لكن هذا الاستخلاف لا يتحقق إلا إذا مرَّ الإنسان بتجارب تهذب نفسه، وتكسر غروره، وتنقيه من شوائب "الأنا". فالانكسار هنا ليس ضعفاً، بل هو انفتاح نقّي على الحقيقة، واستسلام تام لإرادة الله، كما قال سيد العارفين رسول الله سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "أدبني ربي فأحسن تأديبي."

وفي التجربة الصوفية العرفانية، يمثل الانكسار لحظة الصفاء، حيث تتلاشى ظلال النفس وتتكشف أنوار الروح. قال الإمام الجنيد "الطرق كلها مسدودة على الخلق، إلا على من اقتفى أثر الرسول، واتبع سنته، ولزم طريقته."

وهنا يتجلى دور الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، التي تمثل مدرسة روحية في تربية الإنسان، حيث يكون الشيخ هو المرآة الصافية التي يرى فيها المريد عيوبه، ويسير به خطوة خطوة في مدارج العروج إلى الحق.

فالكسنزانية لا تنظر إلى الانكسار كحالة سلبية، بل كمنحة إلهية. حين يُكسر القلب، يفتح باب السماء. حين يتهاوى البناء الخارجي للنفس، يعلو

الهيكل النوراني الداخلي. يقول سيدنا الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسزنان (قدس سره) "كلما زدت فقرًا إلى الله، زدت قربًا منه، وكلما اعترفت بعجزك، أتاك مدد القدرة الإلهية." وهكذا يبدأ العروج الحقيقي من ألم الانكسار إلى أمل اللقاء، من ذل العبودية إلى عزّ القرب، من ظلمة النفس إلى نور الروح، والعروج لا يكون بالترقي الرتبي ولا بالعلوم الظاهرة وحدها، بل هو تخلية وتحلية: تخلية النفس من الكبر والأنانية، وتحليتها بالذكر والحب والخضوع، وقد ورد في الأثر القدسي "أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي." وما أعظمها بشارة، أن يكون الانكسار جواز سفر إلى حضرة الحق، وقد علمنا سادتنا الكسزنانية أن السبيل إلى الله لا يُقطع إلا بقدم المحبة، ولا يُدرك إلا بعين الفناء، ولا يُحمل إلا على كتف التواضع، فإذا انكسر قلبك، فاعلم أنك أقرب إلى باب الله من أي وقت، وإذا ضاقت عليك الدنيا، فاعلم أن أبواب العروج قد فُتحت لك، وإذا شعرت بعجزك، فلا تحزن، لأن القوة الحقيقية تبدأ من هنا، والعروج إلى الحق ليس خروجًا من الجسد، بل دخولًا في الحقيقة، وإنه التحول من "أنا" إلى "هو"، ومن الغرور إلى الذوبان، ومن الكثرة إلى القلة.

فيا من كسرتك الحياة، ابتهج، لأنك في بداية الطريق، ويا من ضللت بين الظلمات، لا تيأس، فإن في حضرة الذكر تجد النور، وفي حضرة الشيخ الكامل، يكون الانكسار مدخل العروج، ويكون الذكر سلمًا للارتقاء، ويكون الحب طريقًا لا ينقطع... إلى الله، "ومن عرف نفسه، عرف ربّه." لكن من عرف نفسه المنكسرة، عرف ربّه القريب، الحنون، الرحيم، الذي يقول: "يا عبدي، جئتني ماشيًا أتيتك هرولة."

فانكسر لتسمو، واخفض جناحك لترتفع، وابك لتدخل نور السر، ففي الانكسار: ولادة جديدة، وفي العروج: لقاء أبدي، وفي الطريق الكسزناني جمع بينهما، بشفافية الروح ووهج العرفان.

وصلى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى
آله وصحبه وسلم تسليماً..

الباب العاشر: المقال السادس (مواقف تضيءُ الدربَ في عتمةِ الوجود)

في رحلة الحياة التي تتخللها العتَمَاتُ، ويكثفُ فيها الضبابُ، تتكئ الأرواحُ على مواقف لا تُشترى ولا تُباعُ، بل تنبُعُ من صفاء القلب، ونور السرِّ، وسلامة النية. مواقفٌ صغيرةٌ في ظاهرها، لكنها عظيمةٌ في ميزان الوجود، تُضيءُ الدربَ المظلمَ، وتتسلَّلُ الحائِزُ، وتعيدُ صياغةَ الإنسانِ من الداخل. في زمنٍ فقدَ فيه الكثيرون بوصلتهم نحو الحق والخير والجمال. والموقف ليس مجرد فعل، بل هو اختبارٌ لجوهر الإنسان. وقد قال سيدنا عليُّ عليه السلام: "الرجال تُعرف بالمواقف". ومتى ما كان الموقفُ نابعاً من نور الروح، لا من حسابات المصالح، فإنه يكتسبُ طاقةً قُديسةً قادرةً على اختراقِ جدرانِ اليأس وإحياءِ الأمل.

وكما قال الشيخ العارف بالله السيد السلطان محمد المحمد الكسنزان قدس الله سره: "لا تستهينوا بالموقف، ففيه يُمتحن صفاء النية، وتُعرف مراتب القلوب".

في عالم تهشمت فيه القيم تحت عجلة المادية والأنانية، يصبح الموقف الصادق، الرحيم، المنصف، بمثابة شعلة في ليل دامس. مَنْ يقف مع الضعيف لا لمصلحة، بل لوجه الله، فقد عبر بوابة الروح. ومن يختار قول الحق في وجه الطغيان، حتى لو كان وحده، فقد عبر مراتب النور، وتطهَّرت خطاه في محراب الشجاعة، انظر مثلاً إلى مواقف الصالحين والأولياء، كيف كانت مواقفهم بصيرةً وشفاءً، لا ضجيج فيها ولا رياء. كان الواحد منهم يفيض بالحكمة في صمته، وينصر المظلوم ولو بكلمة، ويصبر على الأذى لا ضعفاً، بل رحمةً ورفقاً. الموقف هنا ليس تحدياً للآخر، بل لقاء مع الذات

في مرآة الله. وهو صورة من صور السلوك الصوفي الذي لا يفهم إلا بتذوق الروح.

وفي الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، علّمنا مشايخنا أن السالك يُقاس بثباته في المواقف، وصدقه حين تُغلق الأبواب، وسموه حين يشتد النزاع. لقد ربّونا على أن يكون الموقف جزءًا من الذكر، والسلوك، والتجلي. أن نقف مع الإنسان قبل الانتماء، ومع الرحمة قبل القسوة، ومع النور قبل الظل. لأن المواقف مع الله لا يخاف شيئًا، ولا يتبغي سوى وجهه الكريم، وإن المواقف العرفانية الحقّة لا تحتاج إلى منبر، بل إلى قلب مستنير. إلى روح عرفت أن هذا العالم ما هو إلا ساحة امتحان، وأن الإنسان لا يُكتب له الخلود إلا بمواقفه. ألم يقل النبي سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم "الدين النصيحة"؟ والنصيحة موقف. وألم يقل "من رأى منكم منكراً فليغيره"؟ والتغيير موقف. بل إن الكلمة الطيبة نفسها موقف من الجهل والقسوة والضياغ، وما أحوجنا اليوم إلى مواقف تعيد ترميم القيم في نفوس أبنائنا. مواقف من المعلم حين يتجاوز راتبه ليزرع بذور الإيمان في طلابه. من الأب حين يختار العدل بين أولاده على العاطفة. من المرأة حين تصبر وتربي وتحتسب دون ضجيج. من الشاب حين يردّ المال الحرام ولو كان في أشدّ الحاجة. من الفقير حين يقاسم خبزه جائعاً مثله. كل هذه المواقف ليست قصصاً، بل تجليات نور على طريق الواصلين.

إنّ الذي يزرع النور في طريق الآخرين، لا يُمكن أن يضلّ، حتى لو سقط أو تعب أو خُذل. فالله يبارك في خطواته، ويحفظ له صدقه. هكذا كان الأنبياء، وهكذا الأولياء، وهكذا يُراد لنا أن نكون: أناساً مواقفهم مرآة لما في قلوبهم من نور الله، وفي النهاية، ليست الحياة بما نملكه، بل بما نقف لأجله. ومتى ما امتلأت القلوب بمحبة الله والناس، فإن كل موقف يتحول إلى طقس عبادة، وكل كلمة إلى تسبيحة نور، وكل خطي إلى زاد على طريق الحقيقة، فلتكن مواقفنا نوراً في عتمة الوجود، فمن وقف لله، أقامه الله.

وصلى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى
آله وصحبه وسلم تسليماً..

مصادر الكتاب

١. القرآن الكريم
٢. الشيخ عبد القادر الكيلاني - الفتوحات الربانية
٣. الجنيد البغدادي - أقواله في الرسالة القشيرية
٤. مقولات عرفانية من تراث الطريقة الكسنزانية - الدروس الروحية
٥. أدبيات السلوك في التصوف الإسلامي - د. عبد الحلیم محمود، قضية التصوف
٦. الحاكم في المستدرک - حدیث "ترکت فیکم کتاب الله وستّی"
٧. نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام
٨. أدبيات الطريقة الكسنزانية - الدروس الروحية
٩. دراسات نفسية حول أثر القرآن - Journal of Religion and Health, ٢٠١٧
١٠. ابن عربي، الفتوحات المكية
١١. أقوال النبي محمد ﷺ، صحيح البخاري ومسلم
١٢. الأدبيات الروحية للطريقة الكسنزانية
١٣. كتابات الصوفية في مفهوم الفناء والبعث
١٤. كتابات الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين
١٥. مقولات صوفية في الصفاء والطمأنينة
١٦. الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين
١٧. د. عبد الرحمن حسن حبنكة، تزكية النفس
١٨. الشيخ عبد الكريم الكسنزان، مجالس الذكر والتربية الروحية

١٩. أقوال الإمام عبد القادر الكيلاني - الفتوحات الربانية
٢٠. كتب الطريقة الكسنزانية - دروس السلوك ومنهج التزكية
٢١. الإمام أبو القاسم القشيري - الرسالة القشيرية
٢٢. دراسات معاصرة في علم السلوك والروحانية
٢٣. من أقوال العارفين: الإمام سهل بن عبد الله التستري، مجموع الرسائل
٢٤. أدبيات الطريقة الكسنزانية - دروس في خدمة القلوب
٢٥. أبحاث في علم النفس الإيجابي - Harvard Review of Psychology, ٢٠٢٠
٢٦. حكم متواترة في أدب الصوفية والقلوب المجروحة
٢٧. أقوال الشيخ عبد الكريم الكسنزان - دروس التهذيب الروحي
٢٨. الإمام جعفر الصادق - من وصاياه في تحف العقول
٢٩. دراسات حديثة في علم النفس العصبي - Journal of Behavioral Neuroscience, ٢٠١٩
٣٠. أدبيات السلوك الصوفي - مكتبة الزهد والورع
٣١. القرآن الكريم - العنكبوت: ٦٩
٣٢. الإمام الجنيد - الرسالة القشيرية
٣٣. الشيخ عبد القادر الكيلاني - الفتح الرباني
٣٤. دروس الطريقة الكسنزانية - في مراتب السلوك
٣٥. دراسات روحية ونفسية في مراحل التطور الداخلي للإنسان - Transpersonal Psychology Journal, ٢٠٢١
٣٦. أقوال الشيخ عبد الكريم الكسنزان - من دروس السلوك والتصوف
٣٧. الإمام علي عليه السلام - نهج البلاغة
٣٨. دراسات في القانون الدولي وحقوق الإنسان - Oxford Journal of Human Dignity

٣٩. دراسات سوسولوجية حول العلاقات الاجتماعية - Journal of Human Relationships, ٢٠٢١
٤٠. كتب التصوف الكلاسيكية - الرسالة القشيرية، قوت القلوب
٤١. الحديث النبوي - صحيح البخاري
٤٢. دراسات التنمية والعدالة - UNDP Human Development Report, ٢٠٢٢
٤٣. كتب التصوف الاجتماعي - إحياء علوم الدين، اللمع للسراج الطوسي
٤٤. الحديث النبوي - صحيح مسلم
٤٥. أقوال الشيخ عبد الكريم الكسنزان - من دروس الخدمة والإحسان
٤٦. دراسات في علم النفس الإيجابي - Harvard Health Publishing, ٢٠٢١
٤٧. كتب التصوف الاجتماعي - الرسالة القشيرية، الفتوحات المكية
٤٨. أدبيات التصوف - الرسالة القشيرية
٤٩. دراسات في الأخلاق الاجتماعية - Journal of Moral Philosophy, ٢٠٢٠
٥٠. دراسات حديثة في الأخلاق والقيم الاجتماعية - Journal of Human Values, ٢٠٢٢
٥١. تقرير الأمم المتحدة حول التنمية المستدامة (UN Brundtland Report), ١٩٨٧
٥٢. تقرير التنمية البشرية (UNDP Human Development Report), ٢٠٢٢
٥٣. نهج البلاغة - الإمام علي (عليه السلام).
٥٤. فصوص الحكم - محيي الدين بن عربي.
٥٥. مقولات من تراث الشيخ عبد القادر الكيلاني وأعلام التصوف الكسنزاني.

٥٦. طه عبد الرحمن، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٢
٥٧. د. عبد الرحمن عاطف، أخلاقيات الاقتصاد الإسلامي، دار الفكر، ٢٠١٥
٥٨. وصايا ومأثورات الطريقة العلية القادرية الكسنزانية
٥٩. الشيخ عبد القادر الكسنزان، الوصايا النورانية في السلوك والطريقة (مخطوطة)
٦٠. فكر العرفان الكسنزاني، مجالس التربية الروحية، شهادات المريدين والخلفاء.
- ٦١- الشيخ شمس الدين الكسنزان - مجالس الطريقة الكسنزانية، مخطوطة خاصة
- ٦٢- تقرير السلام العالمي ٢٠٢٣ - Institute for Economics & Peace
- ٦٣- رؤى من الطريقة العلية القادرية الكسنزانية - مخطوطات مجالس الذكر والخلوة.

للتواصل مع الباحث

nooryjaseem12122012@gmail.com

المركز العالمي للتصوف والدراسات الروحية

المحتويات

.....	الإهداء	٥
.....	المقدمة	٧
.....	الباب الأول: "الروح طريق النور"	٩
.....	الباب الأول: المقال الأول: (الروح جوهر الإنسان ومصدر النور الإلهي)	٩
.....	الباب الأول: المقال الثاني: (الحقيقة المحمدية، النور الأول ومفتاح الوجود)	١٢
.....	الباب الأول: المقال الثالث: (التربية الروحية والسلوك: طريق الصفاء والوصول)	١٤
.....	الباب الأول: المقال الرابع: (القرآن الكريم نور الحقيقة وطريق السالكين)	١٦
.....	الباب الأول: المقال الخامس: (الصفاء رحلة الوعي الروحي)	١٩
.....	الباب الأول: المقال السادس: (السكينة والطمأنينة ثمرة الاتصال الروحي)	٢١
.....	الباب الثاني: "التربية الروحية والسلوك"	٢٣
.....	الباب الثاني: المقال الأول: (النفوس بين التزكية والتربية)	٢٣
.....	الباب الثاني: المقال الثاني: (السلوك ومنهج القلوب والأرواح)	٢٦
.....	الباب الثاني: المقال الثالث: صفاء السرور رياضة النفس	٢٨
.....	الباب الثاني: المقال الرابع: (جبر الخواطر وكسرها مرايا الروح)	٣٠
.....	الباب الثاني: المقال الخامس: (الصبر سلوك على جسر البلاء)	٣٢
.....	الباب الثاني: المقال السادس: (رحلة السلوك من المجاهدة إلى الشهود)	٣٤
.....	الباب الثالث: القيم الإنسانية والتوازن المجتمعي	٣٧
.....	الباب الثالث: المقال الأول: (الكرامة الإنسانية جوهر الاستخلاف في الأرض)	٣٧
.....	الباب الثالث: المقال الثاني: (الوفاء: عطر القلوب وميزان الأرواح)	٣٩
.....	الباب الثالث: المقال الثالث: (العدالة الميزان الذي تقوم به الحياة)	٤١
.....	الباب الثالث: المقال الرابع: (جبر النفوس والقلوب إصلاح في زمن الانكسار)	٤٣
.....	الباب الثالث: المقال الخامس: (الإنصاف: مرآة التقوى وتاج الأخلاق)	٤٥
.....	الباب الثالث: المقال السادس: (القيم الإنسانية لغة القلوب التي لا تموت)	٤٦
.....	الباب الرابع: الاقتصاد والعدالة والكرامة	٤٩
.....	الباب الرابع: المقال الأول: (المال وسيلة لا غاية)	٤٩
.....	الباب الرابع: المقال الثاني: (التجارة برؤية أخلاقية)	٥٢
.....	الباب الرابع: المقال الثالث: (العدالة الاجتماعية والاقتصادية)	٥٤
.....	الباب الرابع: المقال الرابع: (التنمية المستدامة للمجتمعات)	٥٧

٦٠.....	الباب الرابع: المقال الخامس: (الاقتصاد الأخلاقي)
٦٣.....	الباب الرابع: المقال السادس: (تنمية المبادرات المجتمعية)
٦٧.....	الباب الخامس: الفكر والإعلام واللغة.....
٦٧.....	الباب الخامس: المقال الأول: (وسائل التواصل الاجتماعي وتأثيرها الأخلاقي)
٧٠.....	الباب الخامس: المقال الثاني: (الإعلام وصناعة الرأي)
٧٢.....	الباب الخامس: المقال الثالث: (الذكاء الاصطناعي بين النعمة والنقمة)
٧٥.....	الباب الخامس: المقال الرابع: (العربية لغة القلوب والأرواح)
٧٧.....	الباب الخامس: المقال الخامس: (الفكر الحر والرأي الآخر)
٧٩.....	الباب الخامس: المقال السادس: (بغداد مركز الحضارة الثقافية)
٨٣.....	الباب السادس: السياسة وخدمة الإنسانية.....
٨٣.....	الباب السادس: المقال الأول: (السياسة من أجل الإنسان)
٨٥.....	الباب السادس: المقال الثاني: (التسامح والتعايش السلمي)
٨٨.....	الباب السادس: المقال الثالث: (السلام سبيل النجاة)
٩١.....	الباب السادس: المقال الرابع: (كلمة الحق في زمن الخوف)
٩٣.....	الباب السادس: المقال الخامس: (الحروب لغة الشيطان)
٩٦.....	الباب السادس: المقال السادس: (العدالة في منظومة القرار)
٩٩.....	الباب السابع: الكون في خدمة الإنسان.....
٩٩.....	الباب السابع: المقال الأول: (العلاقة بين الزراعة والتوازن مع الطبيعة)
١٠٢.....	الباب السابع: المقال الثاني: (الصناعة والروح الإنسانية)
١٠٤.....	الباب السابع: المقال الثالث: (البيئة والمدينة الفاضلة)
١٠٧.....	الباب السابع: المقال الرابع: (البناء والعمران الحضاري المتوازن)
١١٠.....	الباب السابع: المقال الخامس: (الاستدامة رؤية قرآنية كسرنائية)
١١٢.....	الباب السابع: المقال السادس: (براعة التوظيف في التنمية)
١١٥.....	الباب الثامن: العبقريّة والنورانية.....
١١٥.....	الباب الثامن: المقال الأول: (العبقرية والعطاء الروحي)
١١٨.....	الباب الثامن: المقال الثاني: (الفراسة بصيرة القلوب)
١٢٠.....	الباب الثامن: المقال الثالث: (نورانية الفكر والسلوك)
١٢٣.....	الباب الثامن: المقال الرابع: (خوارق العادات بين الكرامة والادعاء)
١٢٦.....	الباب الثامن: المقال الخامس: (الأمثال الشعبية وحكمة الأجداد)
١٢٨.....	الباب الثامن: المقال السادس: (براعة الإنسان في الإبداع)
١٣١.....	الباب التاسع: الرسالة العالمية والإرشاد.....
١٣١.....	الباب التاسع: المقال الأول: (أوراق كسرنائية عالمية)
١٣٣.....	الباب التاسع: المقال الثاني: (الأولياء والصالحين أنوار الهداية)
١٣٦.....	الباب التاسع: المقال الثالث: (الولي المرشد في طريق السالكين)
١٣٩.....	الباب التاسع: المقال الرابع: (بغداد قبلة السالكين)
١٤٢.....	الباب التاسع: المقال الخامس: (سبيل النجاة في عالم مشّتت)

الباب التاسع: المقال السادس (النور المحمدي رحمة وجمال للعالمين).....	١٤٤
الباب العاشر: قصص ومواقف من نور.....	١٤٧
الباب العاشر: المقال الأول (التربية القلبية وصفاء الروح في عالم المادة).....	١٤٧
الباب العاشر: المقال الثاني (الحياة بوابة الاختبار والعبور).....	١٥٠
الباب العاشر: المقال الثالث (الزكاة الروحية وإصلاح القلوب).....	١٥٢
الباب العاشر: المقال الرابع (مصباح القلوب في دروب التائبين).....	١٥٥
الباب العاشر: المقال الخامس (الإنسان بين الانكسار والعروج إلى الحق).....	١٥٧
الباب العاشر: المقال السادس (مواقف تضيء الدرب في عتمة الوجود).....	١٦٠
مصادر الكتاب.....	١٦٣
المحتويات.....	١٦٩